روايات










# Inspector Maigret And The Burglar's Wife



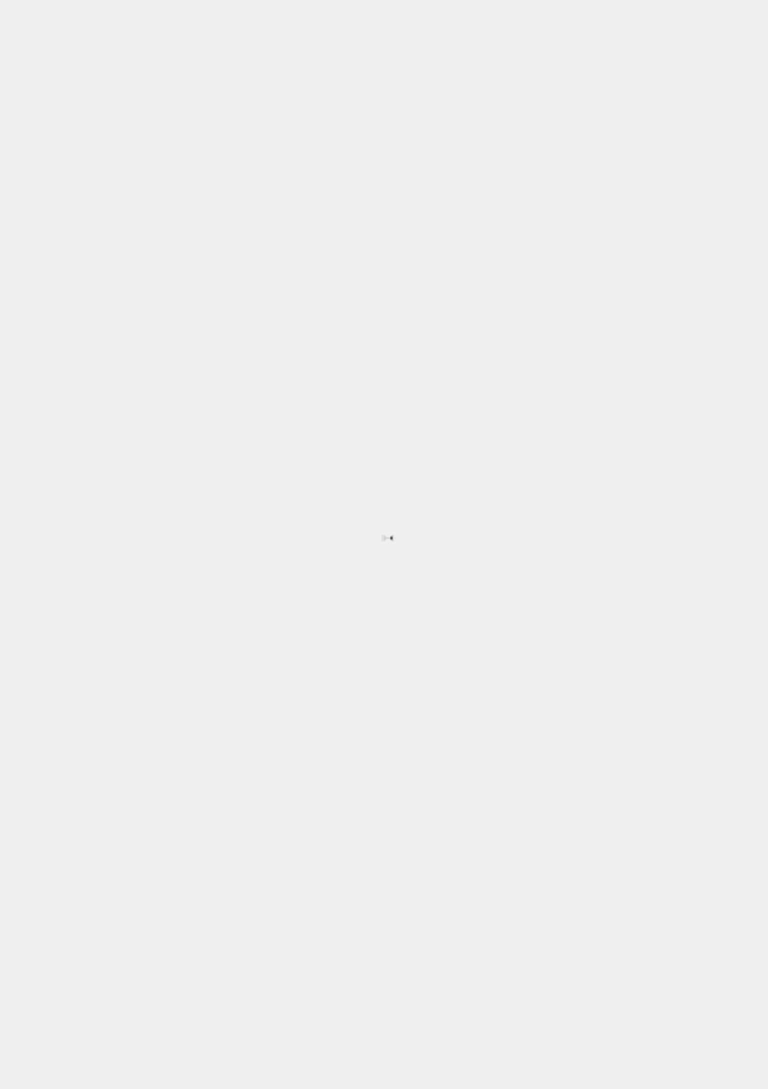
روايات

عَالمِيَّة

العدد رقم ٢٧٣

# باسم الجريمة

تأليف
جورج سيمينون
ترجمة
السيد وفائي



# الفصـل الأول

كلف الحاجب المعين لمكتب المفتش ميجريه ، تسليمه طلبـا بتحديد موعد للمقابلة ، وكان هذا الطلب محررا طبقا للتعليمات ويجرى نصه كما يلى :

ارنستين ميكو ، المعروفة باسم « لوفتى » ( والآن ارنستين جوسيوم ) ، والتى القيت القبض عليها منـــذ سبعة عشر عاما بشارع «لالون» تلتمس تحديد موعد للمقـــابلة ؛ لأمر مستعجل بالغ الاهمية .

وبنظرة خاطفة من طرف عينه تأمل ميجريه ، جوزيف الشيخ ، لعله يستطيع ان يتبين من ملامح وجهه ، ما اذا كان قد اطلع على الرسالة التى تقـــدم بها اليه وفهم مضمونها . ولـكن الرجـل الاشيب ، وقف جامدا لا يحرك ساكنا . هذا الرجل الذى قـد يكون الوحيد من بين جميع رجال ادارة الأمن العـام . الذى لم يتحلل من ملابســه الرسمية ، ويرتدى القميص فى الصباح الحار ولأول مرة بعد تلك الأعوام الطويلة ، يتساءل كبير المفتشين عن سر تلك الاوامر الغريبة ، التى تضطر مثل هذا الرجل الاشيب الوقور لأن يحمل هذه السلسلة الثقيلة بذاك الخاتم الضخم حول عنقه.

كان اليوم ، من تلك الايام التى يجدها المرء مناسـبة ليسرح فيها بخياله فى آفاق من الفكر ، حيثما شاء وكيفما طاب له .. وقد يرجع ذلك الى حرارة الجو ، وقد يرجع أيضا الى الشعور الذى يتملك النفس فى موسم الاجازات ، مما يباعد بين المرء وبين حمله للامور على محمل الجـد .. وكانت نافذة الحجرة ، التى دخلها جوزيف منذ لحظة ، مفتوحة على مصراعيها ، لينفذ منهـا الهواء مع ضوضاء باريس البعيدة . وقد جلس المفتش ميجريه يشغل وقته بتأمل فراشة حائرة تطير فى دائرة واحدة لا تخرج عنها . وكان كل ما فى المكان يوحى بتراخى الكسـل . فها هو ذا قسم المباحث قد تغيب عنه اكثر من نصف رجاله ، بين راحل الى

الريف ، وبين مسافر الى شاطىء البحر . وها هو ذا لوكاس ؟ قد خرج ليجول واضعا على راسه قبعة من القش هى اقرب ما تكون الى مظلات المصابيح منها الى قبعات الرجال ، حتى المدير العام هو الاخر ، قد رحل فى اليوم السابق الى جبال البيرينيز كعادته فى كل سنة .

واخيرا سال ميجريه الحاجب ، وهو يضع الطلب جانبا :

ـ اهى مخمورة ؟ .

ـ لست اظنها كذلك يا سيدى .

لانه كان يعلم ان مثل هذا الصنف من النساء اذا ما افرطن فى تعاطى الخمر . وجدن انفسهن مدفوعات لاماطة اللثام عن اشياء كثيرة وعن امور لا حصر لها .

ـ ثائرة الاعصاب ؟.

ـ عندما سالتنى هل سيطول بها الانتظار ، واجبتها باننى لست متاكدا حتى من مجرد موافقتك على مقابلتها ، سحبت مقعدا جلست عليه فى ركن من غرفة الانتظار ، وبدات تقرا فى صحيفة يومية كانت معها .

وحاول ميجريه ان يذكر شيئا عن هذه الاسماء : ميكو .. او جوسيوم .. او لوفتى . عندما استعاد لنفسه ذكرى يوم حار فى شارع «لالون» ثقل طقسه برائحة الاسفلت الذى لان تحت اقدام الراجلين .

وكان ذلك ، بالقرب من بورت سانت دينيس ، فى شارع صغير تقوم على جانبيه بعض الفنادق التى تحوم حولها الشبهات وبعض الحوانيت الصغيرة لبيع الحلوى . ولم يكن ميجريه حينئذ قد رقى بعد كبيرا للمفتشين . وكان قد كلف تحرى امر فتاة تتنقل بين البارات ، واضطره الامر ان يتنقل هو الاخر بينها .. ويتعاطى فى جولته هذه بعض كؤوس من شراب «البرنو» . وانه ليكاد يشعر فى جلسته هذه برائحة هذا الشراب تنفذ الى انفه ، وقد اختلطت برائحة العرق فى هذا الخان الصغير .. وعلى قدر ما تستطيع ذاكرته ان تحمل اليه ، كانت غرفة هذه الفتاة فى

الطابق الثالث او الرابع . وهو يذكر ايضا انه أخطأ بابها في أول الامر ، حيث وجد نفسه وجها لوجه امام أحد الزنوج ، الذى كان جالسا على حافة فراشه يلعب على الاكورديون . والذى عندما عرف بغيته ، اوما برأسه الى باب الغرفة المجاورة لغرفته .

ــ ادخل ! .

كان الصوت الداعى صوتا اجش ينم عما كان للخمر وللتدخين من أثر فيه ووجد صاحبة الصوت واقفة بجوار نافذة حجرتها المطلة على الساحة ؛ بقدها المشوق ملتحفة برداء ازرق ، تعد لنفسها الطعام على موقد صغير .

وما ان رأته امامها ، حتى فحصته بنظراتها من قمة راسه الى اخمص قدميه ، فى ثبات وبرود . وبعد أن انتهت من ذلك قالت له دون مواربة :

ــ شرطى ! اليس كذلك ؟ .

ولم يجبها بشىء ، لانه كان مشغولا بالنظر الى الحافظة وأوراق النقد التى لمحها فوق الدولاب الموجود فى الغرفة . ولاحظ انها لم تحرك ساكنا . وكل ما علقت به على ذلك كان بقولها :

ــ هذا يخص احدى صديقاتى ! .

ــ ومن تكون ؟ .

ــ لست اعرف لها اسما غير « لولو » .

ــ واين تكون ؟ .

ــ هذا ما يجب عليك أن تصل اليه . ان عملك يبدأ من هنا ! .

ــ البسى ملابسك الخارجية فورا ، لانك ستاتين معى .

كانت الجريمة جريمة لشل عادية ، الا ان الادارة كانت توليها اهتماما خاصا بالنسبة لشخصية المجنى عليه ، وليس بسبب ضخامة المبلغ المسروق ، الذى كان فى الواقع مبلغا كبيرا فى نفس الوقت .

ــ ليس بوسعك ، ولا بوسع ادارة الأمن العام كلها ، ان تحول بينى وبين تناول طعامى ! .

ولم يكن بالحجرة غير مقعد واحد . فاضطر ان يظل واقفا على قدميه ، فى انتظار ان تنتهى من تناول طعامها ، الذى كانت تتناوله على مهل ، متجاهلة وجوده .

كان سن هذه الفتـــاة حينئذ ، لا يتجاوز العشرين ربيعا .

وكانت شاحبة الوجه ، باهتة العينين ، زائغة النظرات . وانه ليراها الآن ، بعد ان فرغت من تناول طعامها ، ماثلة أمام عينيه تعد لنفسها قدحا من القهوة .

ـ لقد طلبت منك ان ترتدى ثيابك .

فقد بدا يضيق ذرعا بكل شىء .. بحرارة الجو .. وبرائحة المكان .. وبتمهلها المتعمد .. وبها هى ايضا .

ـ انى انتظر ! .

قالها فى حدة بعد ان نفد صبره ، وقد اشاح بوجهه عنها .

ـ ان ماتقوله عن الأمر بالقبض على ، لا يهمنى فى كثير او فى قليل . كما اننى لست مضطرة ان اعاونك فى تنفيذ ما لديك من اوامر .

وانه ليذكر ، انه قد طلب منها غير مرة ، أن تعدل عن العبث وأن تنهض وتسرع بارتداء كامل ثيابها . كما يذكر انه قد سلك كل مسلك فى سبيل حملها على ذلك ، من تهديد ووعيد ، الى اقناع والحاح فى الرجاء . غير أن ذلك كله ، لم يحرك منها ساكنا ولم يحملها على ان تقلع عما هى فيه . الأمر الذى اضطره اخيرا ان يذهب لطلب بعض رجال الشرطة للاستعانة بهم - مما انقلب معه الوضع بعد ذلك ، الى مشهد من مشاهد الكوميديا ، عندما اضطر شرطيان ان يحملا الفتاة ويهبطا بها من الدرج الضيق ، فى وقت تفتحت فيه جميع الابواب على الجانبين ، لتستكمل مناظر هذا المشهد الطريف .

ولم يقدر له أن يلتقى بها بعد ذلك ، او أن يسمع عنها شيئا . وبعد أن استعرض لنفسه كل هذا ، قال للحاجب :

ـ دعها تدخل ! .

وما ان دخلت عليه ، حتى عرف انها بطلة تلك القصة القديمة
ولاحظ انها لم تتغير كثيرا . فقد كانت هى بوجهها الشاحب
المستطيل ، وبعينيها الباهتتين الزائغتين ، وبفمها الكبير الساخر،
كما تبين من عينيها : تلك النظرات الهادئة الساخرة ، التى لاتراها
الا فى نظرات كل من صادف فى حياته الكثير ، فهانت عنده
بعد ذلك الحياة وكل ما فيها من شئون .

وكانت ترتدى ثيابا بسيطة ، وتضع فوق رأسها قبعة من
القش الأخضر ، كما تضع يديها فى قفازين عاديين .

ــ هل مازلت تذكر ما حدث منى ؟.

فسكت ولم يعقب . والتزم الصمت مواصلا تدخين غليونه .

ــ هل تأذن لى بالجلوس ؟ لقد سمعت عن ترقيتك . وأظن
أن هذا هو السبب فى عدم لقائنا مرة اخرى . هل تسمح لى
بالتدخين ؟ .

ثم اخرجت من حقيبتها لفافة تبغ اشعلتها فى هدوء كعادتها .

ــ اريد ان ابدا حديثى معك ، بان اخبرك بكل صراحة ، باننى
كنت اصدقك القول ، عندما قررت لك : فى لقائنا الاول ، بانه لم
يكن لى شان بهذه النقود المسروقة التى وجدتها عندى . وعلى
الرغم من ذلك . فقد حكم على بالحبس سنة لجريمة لم ارتكبها
وكفرت بذلك عن جريرة غيرى ؛ لأن تلك الفتاة التى كانت تدعى
بلولو ، هى فعلا المسئولة عن ارتكاب هذا الحادث . ولكنك لم
تكلف نفسك عناء البحث عنها للتحقق مما قلته لك فليكن ...

ــ وماذا كان من امرها بعد ذلك ؟ .

ــ انها تدير الآن مطعما صغيرا . ان هذا الامر لم يترك فى
نفسى اى اثر . فقط اردت ان ابين لك ، ان كل انسان معرض لان
يجانبه التوفيق فى هذه الحياة .

ــ امن أجل هذا كان مجيئك ؟ .

ــ لا .. فقد حضرت لما هو اهم من ذلك واجل . لقد جئت
لاتحدث اليك بشان الفريد . وما اظنه اذا علم بذلك ، الا معتمدا

انني قد فقدت عقلي . وكان يوسعي ان الجأ لبواسييه ، الذي يعرف عنه كل شيء .

ـ ومن هو الفريد هذا ؟ .

ـ انه زوجي . زوجي قانونا وشرعا . لانه ممن يواظبون على التردد على الكنيسة . ومع ذلك فقد وقع في قبضة بواسييه غير مرة . وحكم عليه بالسجن خمس سنوات في احدى هذه المرات »

ثم ازداد صوتها خشونة وهي تستطرد قائلة :

ـ ان اسم جوسيوم قد لا يعني عندك شيئا . ولكنني اذا ما اخبرتك باسم شهرته فستعرف حتما من هو الفريد جوسيوم .. لقد كتبت الصحف عنه الكثير . انه فريدي الحزين .

ـ لص الخزائن ؟.

ـ نعم هو .

ـ وهل تشاجرتما ؟ .

ـ لا .. ان مجيئي الى هنا لم يكن لمثل هذا . ولست ممن يتوجهن لمكاتب الشرطة من اجل هذه الصغائر . ليكن ... هل عرفت الآن من هو فريدي ؟ .

الا ان ميجريه لا يذكر انه سبق له ان التقى بهذا الرجل .. اللهم الا اذا كان ذلك عرضا في دهاليز الادارة ، اذا ما تصادف وقوف هذا اللص ، في انتظار استجوابه بمعرفة بواسييه ، وتمثلت أمام عينيه صورة غير واضحة المعالم لرجل ضئيل الجسم ساهم النظرات ، في ثياب تبدو فضفاضة على جسمه الصغير .

ـ وطبيعي ان تختلف نظرة كل منا له .

بذلك اخذت تواصل حديثها :

ـ يا للمسكين ! ان له نواحي اخرى غير ما قد يجول بخاطرك عنه . لقد عشت معه حوالي الاثنى عشر عاما ، اتاحت لي ان افهمه على حقيقته .

ـ واين هو الآن ؟ .

ـ صبرا . وهل جئت الا من اجل ذلك ! انني لا اعرف اين هو الآن . ولـكنني اعرف انه في مازق . وان ما تردى فيـه لم يكن عن خطأ ارتكبه . ان كل ما ارجوه منـك ، ان تثق بي . وان كنت اعلم انني بذلك اطلب الـكثير .

لقد بدا فعلا يهتم بما تقول . ورأى في طريقة حديثها وفي بساطة لهجتها ، ما يدعوه لان يستمع اليها . انها لاتحاول التأثير عليه او تمويه الحقائق في عينيه ، وان كانت لم تصل بعد للب الموضوع ، فان ذلك قد يرجع الى اهمية ماتريد الافضاء به او الى شدة خطورته .

كما انها كانت تشـعر بأن هناك حاجزا بينها وبينه ، وانها بحاجة الى ان تحطم هذا الحاجز ، وقبل ان تفضى اليه بما تريد الافضاء به ، حتى يصدقها فيما تقول ولا يسيء فهم ما تعنيه .

اما فريدى الحزين ، الذى لم يسبق لميجريه ان احتك به في اثناء عمله ، فانه يعلم عنه اكثر مما تعلمه عنه الجهات الرسمية . فقد كان للرجل شـهرة خاصة في عاله ، حاولت الصحف ان تستغلها ، وأن تجعل منه بطلا قصصيا من أبطال الخيال .

فقد بدا عمله بمؤسسة بلانشار لصناعة الخزائن ، واستمر يعمـل بهذه المؤسسة عـدة اعوام طويلة ، حتى اصـبح من اكثر عمالها كفاية ومهارة . وكان يبدو بين زملائه ، حزينا منطويا على نفسه . كما عرف عنه الجميع ، اعتلال صحته وتعرضه من وقت لآخر ، لنوبات من الصرع والاغماء .

اما الظروف التى انتهت بهـذا الرجل الى ان يترك عمـله بمؤسسة بلانشار ، فقـد راى ميجريه انه يحسن به الاستفسار عن ذلك من بواسيبه .

ومهما يكن من أمر هذه الظروف ، فمما لاشك فيه انها انتهت به اخيرا ، الى أن يتحول من صانع للخزائن الى محطم لها .

ـ وهل كان الفريد مستقرا في عمل معين ، عندما التقيت به أول مرة ؟ .

ـ لا . الا انني لم اكن السبب في انحرافه عن الطريق المستقيم

كما قد يتبادر الى ذهنك . ولم اكن اعلم فى اول الامر شيئا عن حقيقة عمله . ثم علمت اخيرا ، وشيئا فشيئا ، حقيقة امره .

ـ الم يكن من الافضل أن تقابلى بواسيبيه فى هذا الشأن ؟ .

ـ هذا اذا كان الامر يتعلق بجريمة من جرائم السطو . أليس كذلك ؟ ولكن اذا كان الموضوع متعلقا باحدى جرائم القتل ، فانا اظن ان هذا من اختصاصك ؟ .

ـ وهل ارتكب الفريد جريمة قتل ؟ .

ـ سيدى كبير المفتشين . ما اظن الا انك ترغب فى أن ننتهى من هذا الامر فى اقصر وقت ممكن . ولن يكون ذلك الا اذا اعطيتنى الفرصة لمواصلة حديثى . من حقك أن تنعت الفريد بما تشاء من اوصاف . ولكن الشيء الوحيد الذى لا يمكنك أن تنعته به ، والذى ارجو ان تتأكد منه ، هو انه ليس بقاتل ، وهو ابعد الناس عن التفكير فى ارتكاب هذه الجريمة ، حتى ولو دفعت له كل اموال العالم . وقد يبدو لك هذا أمرا شديد الغرابة بعيد الاحتمال ! الا انه الواقع الذى لاشك فى صحته . وذلك لأن فريدى انسان مرهف الحس ، رقيق الشعور هل تتبعنى فيما اقول ؟ . اننى أنا وحدى من تعرف ذلك عنه خير المعرفة . فقد عاشرته اعواما طويلة وعرفته على حقيقته . ان غيرى يقول عنه انه انسان رقيق ضعيف ، فاذا كان كذلك حقا ، فان هذا هو بالذات ماجعلنى احبه .

ثم اخذت تتأمله فى هدوء . وكان ميجريه قد لاحظ انها عندما نطقت بكلمة الحب ، لم تنطق بها بتلك اللهجة التى تضفى عليها مالها من معانى التعاطف والود والحنان ، بل نطقت بها بلهجة المعتز بشخصية المعنى بها المقدر لصاحبها .

ـ لو اتيح لك أن تلمس ما تنطوى عليه نفسه ، ما دهشت مما اقول .. انك لا تعرف عنه ، الا انه لص محطم للخزائن . وانه اودع السجن لمدة خمس سنوات لثبوت التهمة عليه فى احدى تلك المرات التى قبض عليه فيها . اننى لم اتخلف مرة واحدة عن

زيارته فى الايام المحددة للزيارة عندما كان سجينا . ولقد كنت اخاطر بذلك ، لانني لم اكن احمل تلك البطاقة التى كانت تقضى التعليمات بضرورة حملها .

ـ لكم تمنى ان يقوم بتحقيق صفقة ضـخمة ، تخلد بعدها للراحة ونستقى بها فى الريف . ولقد علمت منه ان هذا الحلم كان يراوده مذ كان صبيا .

ـ واين تقيمان ؟ .

ـ فى غرفتين تقعان فى اعلى احد المقاهى بناحية رصيف « دى جيماب » أمـام هوبس « سانت مارتان » .. هل عرفت المكان ؟ . ويمتاز هذا السكن بالتليفون الموجود بالمقهى .

ـ وهل الفريد موجود هناك الآن ؟ .

ـ بالطبع لا .. لقد قلت لك انني لا اعرف اين يوجد ، وارجو أن تصدقنى .. لقد زاول نشاطه فى ليلة قبل الليلة الماضية .

ـ ثم هرب بعد ذلك ؟ .

ـ مهلا يا سيدى المفتش ! . ستعرف كل شىء اذا صبرت قليلا . انك تسمع طبعا عن هؤلاء الذين يواظبون على شراء اوراق اليانصيب القومى قبل كل سحب . الا تعرف ذلك ؟ . ولذلك تعرف ايضا ان الامر قد يبلـغ بالبعض منهم حـدا يحملهم على الاقتصاد فى اقواتهم حتى يتيسر لهم شراء هذه الأوراق . وكل ذلك لأنهم لا يفقدون الأمل فى الفوز بجائزتها الاولى . ان هذا هو نفس الامر مع فريدى .. فهناك العشرات من الخزائن فى باريس ، تولى بنفسه صـنعها وتركيبها ، ويعرف اماكن وجودها عن ظهر قلب . وليس من شك فى ان كل من يشترى احدى هذه الخزائن ، يشتريها ليضع فيها امواله وجواهره .

ـ وهو يرجو ان يفوز باحدى هذه الخزائن فى يوم ما ؟ .

ـ ها انت ذا قد ادركت ما اعنى ! .

ثم رفعت كتفيها فى اسـتهتار ، وواصلت حـديثها وكأنها تتحدث عن نزوة طفل عابث لا ضرر من عبثه :

ـ الا انه كان سيىء الحظ فى كلّ مرة ! . لقد كان نصيبه فى معظم الحالات ، سندات اسمية لا يمكن بيعها ، أو عقود اعمال لا يمكن التصرف فيها . ولم يوفق الى مبلغ محترم الا مرة واحدة ، كان من الممكن أن يكفينا هذا المبلغ لنعيش به طوال حياتنا ، ويتحقق لنا به ما نبغى . ولسوء حظه ، كانت هذه المرة هى المرة الوحيدة التى تمكن فيها بواسيه من الصاق التهمة به واثباتها عليه ، مما أدى للحكم عليه بالسجن كما سبق أن ذكرت لك .

ـ وهل كان يشركك فى نشاطه ؟ . كان تقومى بدور المراقبة مثلا ! .

ـ لا .. انه لم يكن يحب ذلك لى . لقد كان يخبرنى ، فى بادىء الامر ، بالمكان الذى سيقوم بالسطو عليه ، لكى اكون على مقربة منه فقط . الا أنه اقلع عن ذلك اخيرا ، ولم يعد يطلعنى على شيء .

ـ حتى لا يزج بك فى الأمر ؟ .

ـ قد يكون ذلك . وقد يكون لأسباب اخرى لا يعلمها الا هو ؟ هل تصدق انه تمر بنا ايام لا يحس الواحد منا فيها بالآخر وكاننا لا نعيش معا . وهل تصدق انه كانت تمر بنا ايام لا اسمعه فيها ينطق بحرف واحد . لطالما رايته يقتطع نفسه من الحياة بعيدا ؟ وكانه يعيش وحيدا . ان كل ما كنت أعلمه عن نشاطه ، كان عندما يخرج فى الليل على دراجته .

وقد ذكره ذلك ، بما كان يعرف به الفريد جوسيوم ، وبما كانت تصفه به بعض الصحف « باللص راكب الدراجة » .

لقد كانت له وجهة نظره فى ذلك . اذ كان يرى أن رجلا يركب دراجته ليلا لن يسترعى نظر أحد من الناس ، فهم سيرون فيه ، وقد تدلت حقيبة ادواته من كتفه ، عاملا متوجها لاداء عمله . انني اتحدث اليك كما اتحدث الى صديق ، لعلك أدركت ذلك من صراحتى ؟ .

وقد عاد ميجريه ليتساءل فيما بينه وبين نفسه ؟ عما دعاها لان تلجا اليه بالذات ، وتجعله موضع ثقتها دون غيره . ولما

اخرجت لفافة تبغ اخرى قام فى هذه المرة باشعالها لها .
ــ اليوم الخميس .. لقد خرج الفريد ليلة الثلاثاء الماضى ..
ــ وهل علمت منه انه فى طريقه لاحدى عملياته ؟ .
ــ لقد علمت ذلك استنتاجا . فقبل هذه الليلة باسبوع ، كان يخرج فى كل ليلة دون ان يحمل حقيبة ادواته . وفى ذلك ما فيه من دلالة . لانه كان يفعل هذا ، قبل كل مرة يقوم فيها بالسطو على مكان ما ، ليراقب المكان ويدرس احوال ساكنيه .

ــ وحتى يتأكد من ان احدا ما لن يكون فيه ؟ .
ــ كلا .. فهذا امر لا يهمه فى كثير او فى قليل . بل اعتقد انه كان يفضل العمل فى مكان ماهول على العمل فى مكان مهجور . فهو من هذا الصنف من الرجال ، الذى يستطيع ان يتحرك فى اى مكان دون ان يحدث صوتا .. ولماذا نذهب بعيدا .. لطالما عاد الى المنزل دون ان اشعر به الا وهو فى الفراش الى جوارى .

ــ وهل تعلمين شيئا عن المكان الذى توجه اليه فى تلك الليلة ؟ .

ــ ان كل ما اعلمه ، انه كان فى ناحية نويللى . ولقد عرفت هذا بمحض المصادفة .. ففى اليوم الأسبق لليلة التى خرج فيها اخبرنى منذ عودتى للمنزل ، بان رجال الشرطة قد طلبوا منه الاطلاع على بطاقته الشخصية لاشتباههم فيه عندما كان فى طريقه بغابة بولونى . فلما سالته عن مكان مقابلتهم له بالتحديد ، اخبرنى بان ذلك كان خلف حديقة الحيوان ، فى طريق عودته من ناحية نويللى . وعندما خرج فى ليلة الثلاثاء حاملا حقيبة ادواته ، فطنت الى انه قد خرج فى طريقه الى مزاولة نشاطه بهذه الناحية .

ــ اليس من عادته تعاطى الخمر ؟ .
ــ ابدا .. لا الخمر ولا التدخين .

ثم استطردت تفسر ذلك :
ــ لانه لم يكن فى استطاعته ان يقترب من الخمر . لقد كان يعيش فى رعب من تلك النوبات التى كان يتعرض لها من وقت لآخر ،

ولطالما خجل من نفسه ، عندما كانت تهاجمه هذه النوبة فى الطريق امام جموع الناس ، فيحيطون به ويرثون لحاله .. واذكر انه قال لى وهو فى طريقه الى عمله تلك الليلة ارجو الا يخيب تقديرى فى هذه المرة . فما اظن الا اننا سنتمكن بعد هـذه العملية ، من قضاء بقية العمر فى الريف ، كما كنا نتمنى ذلك دائما .

وكان ميجريه قد بدأ يدون بعض الملاحظات وهو يصغى الى حديثها . ثم سألها وهو يعبث بقلمه على الورق :

ـ فى اى وقت غادر الفريد وصيف دى جيماب ؟ .

ـ حوالى الحادية عشرة . كما كان يفعل فى الليالى الاخرى ..

ـ يصل الى نويللى حوالى منتصف الليل .

ـ تقريبا .. فلم يكن من عادته ان يسرع فى سيره .

ـ الم تريه بعد ذلك ؟ .

ـ نعم .. لم اره .

ـ ولهذا تظنين انه قد وقع له حادث ما ؟ .

ـ لا .. فقد اتصل بى تليفونيا .

ـ ومتى كان ذلك ؟ .

ـ فى الخامسة صباحا من نفس الليلة . ولم يكن النوم قد واتانى بعد . وذلك كعادتى فى كل ليلة يتوجه فيها الى عمله ، لاننى كنت اخشى دائما ان تهاجمه النوبة فى اثناء قيامه بعمله .. ماذا كنت اقول ؟ . آه .. سمعت رنين التليفون فى المقهى الذى يقعاسفل غرفتنا مباشرة . ولميستجب اصحابه لندائه . واستمر الرنين .. فقلت لنفسى : قد يكون هـذا النداء لى .. فنهضت مسرعة وهبطت فوق الدرج فى عجلة .. وما ان رفعت السماعة حتى سمعت صوته ، وادركت من لهجته انه فى مازق . قال فى صوت خفيض :

ـ اهذه انت ؟ .

ـ نعم ..

ـ هل معك احد ؟ .

ـ لا .. اين انت ؟ .

ـ فى مقهى صغير بالقرب من محطة الشمال . اسمعى يا تيتى ـ بهذا الاسم كان يدعونى ـ اننى مضطر للسفر بعيدا لفترة ما .

ـ ماذا جرى .. هل رآك احد ؟ .

ـ ان الامر ليس كذلك .. لقد رآنى احدهم فعلا .. ولست ادرى ان كان شرطيا او غير شرطى .

ـ وهل كان ذلك بعد ان استوليت على النقود ؟ .

ـ لا .. لقد حدث ما حدث قبل أن انتهى من كل شىء .

ـ الا قل لى ماذا حدث ؟ .

ـ فى اثناء انهماكى فى معالجة قفل الخزانة ، سقط ضوء مصباحى على وجه فى ركن الغرفة . فخيل الى ان هناك شخصا ما يراقبنى . فلما امعنت فى النظر تبين لى أن العينين لانسان ميت .

لم تفرست فى وجه ميجريه قبل ان تقول له :

ـ أنا واثقة انه لم يكن ينطق الا صدقا . فلو كان هو القاتل لصارحنى ! . لن اطيل الحديث فى ذلك .. لقد شعرت وهو يحدثنى بانه تحت تأثير رعب قاتل ، وانه يكاد يغمى عليه من هول ما رأى ، وكأني به كان ينظر حوله خوفا ...

ـ ممن ؟ . ومن أى شىء ؟ .

ـ لست أدرى . لأنه لم يكشف لى عن الأمر كله . فقد كان يتعجل انهاء المحادثة .. وأخيرا اخبرنى انه سيستقل القطار الى ...

ـ الى بلجيكا ؟ .

ـ ربما .. ما دام اتصاله بى كان من مكان قريب من محطة الشمال . لقد راجعت جدول مواعيد القطارات ووجدت أن هناك قطارا يبرح المحطة فى الخامسة والنصف .

ـ الا تعرفين شيئا عن المقهى الذى كان يتحدث اليك منه ؟ .

ـ لقد قمت بجولة استطلاعية فى ذاك الحى بالامس . وحاولت جاهدة ان اصل لأية معلومات . ولكننى لم اوفق الى شىء . وكأنى

بالقوم هناك ، وقد حسبونى زوجة غيورة تتعقب خطوات زوجها ولذلك لم افز منهم بشيء .

ـ اذن .. فكل ما اخبرك به ، انه رأى جثة فى الحجرة التى كان يزاول فيها عمله ؟ .

ـ لقد حاولت ان احصل منه على مزيد من المعلومات . فأخبرنى بأن الجثة لامرأة ، وأن الدماء كانت تلوث صدرها ، وأنها كانت ممسكة بسماعة التليفون فى يدها .

ـ أهذا هو كل ما أخبرك به ؟ .

ـ لا .. فقد علمت منه أنه فى نفس اللحظة التى كان سينطلق فيها لينجز عمله بعد ان رأى ما رأى . وأستطيع الآن أن أتصور أى حال كان فيه المسكين .. سمع صوت وقوف سيارة امام الباب الكبير .

ـ وهل قال لك الباب الكبير على وجه التحديد ؟ .

ـ نعم .. الباب الكبير المصنوع من الحديد المطروق . تماما كما قال لى . ثم ترك السيارة شخص ما واتجه صوب الباب . وما ان وصل هذا الشخص الى المشى ، حتى أسرع الفريد بترك المكان عن طريق النافذة .

ـ والحقيبة ؟ .

ـ تركها خلفه .. فلقد كان من عادته أن يدخل الأماكن من نوافذها ، حتى ولو وجد أبوابها مفتوحة أمامه . ومن هذه النوافذ كان خروجه ايضا . كان يدخل من النافذة ويتركها مفتوحة ليخرج منها مهما كانت الظروف والأحوال ! .

ـ وبناء على ذلك فان أحدا ما لم يره ؟ .

ـ حتى تلك اللحظة . الا انه بينما كان يجتاز الحديقة مسرعا ..

ـ اذن .. فقد كان بالمكان حديقة ايضا ؟ .

ـ نعم .. وبينما كان يجتاز هذه الحديقة ، لمح احدهم واقفا بالنافذة يتتبعه بأضواء مصباح سلطها عليه . ولا يستبعد ان يكون هذا المصباح هو مصباح الفريد بالذات . وبعدها أسرع الفريد

باعتلاء دراجته التى اندفع بها دون ان ينظر الى الخلف . وواصل سيره حتى بلغ نهر السين حيث القى بدراجته حتى لا تكون دليلا عليه ، اذا ما احتفظ بها او تركها فى الطريق . ولم يخبرنى بالمكان الذى تخلص فيه من الدراجة على وجه التحديد . ثم رأى بعد ذلك الا يجازف بالعودة الى منزلنا ، فاتجه الى محطة الشمال ، ومن هناك اتصل بى كما اخبرتك . وقد طلب منى الا اتحدث بشىء من كل ذلك لأحد ما . ولم يكن من رأيى ان يهرب او يختفى ، وحاولت اقناعه بذلك بشتى الوسائل والطرق .. ولكنه اصر على رأيه متهيبا محادثته واعدا ان يكتب الى العنوان الذى يمكن ان اتيمه اليه .

ـ وهل كتب اليك ؟ .

ـ لم يكن هناك متسع من الوقت فى هذه الفترة القصيرة . وقد توجهت فعلا الى مكتب البريد هذا الصباح ، فلم اجد شيئا باسمى . وفى خلال الساعات الماضية ، قلبت الامر على جميع وجوهه وقمت بشراء جميع الصحف اليومية ، فلم اجد اية اشارة بها لحادث المراة المجهولة .

ورفع ميجريه سماعة التليفون ، ليتصل بمركز الشرطة فى تويللى .

ـ هللو .. هنا ادارة الامن العام . هل لديكم ما تبلغون عنه بشان جناية قتل وقعت خلال الاربع والعشرين ساعة الماضية ؟ .

ـ لحظة يا سيدى حتى احول الاتصال الى المكتب الجنائى . فما انا الا الضابط المنوب .

وانتظر ميجريه حتى تمت عملية التحويل واستطرد موضحا :

ـ الم تبلغوا بالعثور على جثة بالطريق ؟. الم ترد لكم بلاغات ليلية عن انتشال جثة من نهر السين ؟ .

ـ لا شىء من هذا القبيل يا سيدى .

وانتظرت لونتى انهاء المحادثة فى صبر نافد ، وقد عقدت ما بين يديها ، ومالت بجسمها الى الامام ، وكانها تستجدى فى لهفة ، ما سيحمله التليفون اليها من انباء . ولما ادركت انه لا يوجد

الى الامر جديد ، استانفت حديثها قائلة :
ـ هل قمت بايضاح كل شيء ؟ . وهل عرفت لماذا جئنا اليك ؟ ».
ـ اظن ذلك .
ـ لقد قلت لنفسي باديء ذي بدء ، انه اذا كان احد من رجال الشرطة هو الذى راى الفريد ، فستكون الدراجة دليلا عليه . ولما علمت منه انه ترك حقيبته قلت ان الادلة ستتكاثر عليه وتتجمع ضده . اما وقد أصر على الفرار ـ وهو الآن عبر الحدود ـ فقد ازدادت الأمور تعقيدا بالنسبة إليه ، وما اظن احدا بمصدق قصته . وما اظنه باكثر امنا فى بلجيكا او فى هولاندا منه فى باريس .. ولقد كنت افضل ان أراه مرة اخرى فى السجن لاقترافه جريمة السطو ، على ان اراه متهما بجريمة قتل لم يرتكبها .
ـ اننا أمام مشكلة جديدة ، وهى ان جسم الجريمة غير موجود ! .
ـ هل يدور بخلدك ان ما سردته عليك من نسج خيالى او من نسج خياله ؟ .
ولم يعقب ميجريه على ذلك بشيء . فاستطردت قائلة :
ـ من السهل عليك ان تتعرف على المكان الذى كان يسطو عليه فى تلك الليلة . حقيقة انه ليس لى أن اوجهك فى عملك الا اننى واثقة انك فكرت فى هذا فعلا . ان الخزانة لابد ان تكون من بين تلك الخزائن التى قام بصنعها وتركيبها من قبل . وليس من شك فى ان مؤسسة بلانشار تحتفظ بسجل لعملائها . ولا اظن أن هناك الكثيرين فى نويللى ممن يقتنون الخزائن .
ـ وهل يوجد فى حياة الفريد ، فى الوقت الحاضر ، امرأة اخرى ؟
ـ آه ! . لقد كنت اتوقع منك هذا السؤال .. اننى لست امراة غيورة . وحتى لو كنت كذلك ، فما كنت لاحضر اليك بكل هذه المجموعة من الاحاديث ، كوسيلة لاستمادته الى . فاذا ما كان هذا قد تبادر الى ذهنك ، فلتعلم بانه لا يتصل بغيرى من النساء ».

لان ذلك هو استعداده الشخصى ».

ـ وكيف ؟ . وماذا يمنع ؟ .

ـ لان الحياة كما يراها الفريد ، ليست كالحيـاة فى نظر غيره . هذا ، ولم تدع له الحياة من تصاريفها ، متسعا يتيح له ذلك .

ـ هل معك نقود ؟ ».

ـ لا ..

ـ وكيف ستتصرفين ؟ .

ـ انك تعرف اننى استطيع ان أدبر أمرى . وأحب ان أؤكد لك اخيرا ، اننى لم أحضر الى هنـــا الا لأؤكد لك ان فريدى لم يقتل احدا .

ـ اذا وصلك خطاب منه ، هل تطلعيننى عليه ؟ ».

ـ انك ستطلع عليــه قبل ان اطلع عليه انا .. انك تعلم انه سيكتب الى على « شباك البوستة » ولذلك فانك ستراقب جميع مكاتب البريد فى باريس . أو نسيت اننى لست بمنأى عن مثل هذه الأمور ؟ .

ثم نهضت من مقعدها ، وتأملته وهو فى مكانه من مكتبــه قائلة :

ـ اذا صح كل ما يقولونه عنك ، فلا استبعد انك قد صدقتنى ».

ـ وكيف ؟ .

ـ لانك اذا لم تكن قد صدقتنى ، فانت غر ابله ! . ولست اراك كذلك ، بناء على ما اعهده فيك ».

ـ وبعد ؟ ».

ـ هل ستتصل بمؤسسة بلانشار ؟ ».

ـ اظن ذلك .

ـ وهل ستطلعنى على النتيجة ؟ .

فنظر اليها ، دون ان يجيب بشىء . ولم يستطع ان يخفى تلك الابتسامة التى داعبت شفتيه ».

ـ على رسلك ! . لقد أردت أن أعاونك .. فانك قد تعرف الكثير ! . غير انه لا معدى لك عن الالتجاء الى من هم على شاكلتى ، للاحاطة ببعض الأمور التى لا يفهم دقائقها الا افراد عالمنا .

وهى تعنى بعالمها ، هذا العالم الآخر فى الناحية الأخرى من كل الحدود والقيم .. هذا العالم الذى تعيش فيه لوفتى ومن هم على شاكلتها .

ـ اذا ما كان بواسييه هنا ، ايدنى فى كل ما قلت عن الفريد .

ـ انه فى مكتبه .. فاجازته تبدأ غدا .

ثم أخرجت قصاصة ورق من حقيبتها ، وضعتها أمامه وهى تقول :

ـ سأترك لك رقم تليفون المقهى ، فقد يعن لك أن تتصل بى لسبب ما .. واذا ما استدعى الأمر أن تحضر لترانى ، فلا تتردد ولا تخش شيئا .. اطمئن .

ولم يتحقق ميجريه من انه قد صافح اليد التى مدتها اليه الا بعد أن اغلق الباب خلفها . ولما عاد الى مقعده لاحظ أن الفراشة لم تزل هائمة فى جو الغرفة تبحث عن منفذ تخرج منه ، وأمامها نافذة الغرفة مفتوحة على مصراعيها . ثم تذكر أن زوجته كانت قد طلبت اليه أن يقابلها فى سوق الزهور حوالى الثانيـة عشرة اذا ما سمح له عمله بذلك . فوقف مترددا حائرا ، واتكأ على حافة النافذة يراقب الطريق ساهما .

واخيرا تناول سماعة التليفون بعد أن استقر رأيه على عدم الذهاب لمقابلة زوجته .

ـ اخبر بواسييه أن يحضر لمقابلتى .

وهكذا دارت الايام ، وتوالت الأعوام ، وباعدت ما بينه وبين حادث شارع لالون الطريف . وها هو ذا قد أصبح كبيرا للمفتشين بادارة الأمن العام ، وضابطا من ضباطها الذين يشار اليهم بالبنان . ومع ذلك فانه يشعر بأجنحة الذكرى تحمله الى هذا الجو الذى كان فيـه . وها هو ذا يحن الى كاس من شراب البرنو ، وتمتد

يده الى سماعة التليفون فى عبث أقرب ما يكون الى عبث الاطفال .
- حلوانى دوفين .. ارجوك .. الى بكاس من البرنو .
وعندئذ راى بواسييه يفتح الباب داخلا . فعدل من طلبه قائلا :
- بكاسين ! . بكاسين من البرنو .. شكرا .
فلما سمع بواسييه ذلك ، اهتز شاربه جذلا ، ثم اتجه صوب النافذة وقفز الى حافتها وجلس يجفف حبات العرق ، التى كانت تغطى جبهته .

## الفصـــل الثانى

وبعد ان استمتعا معا بعدة جرعات من شراب البرنو ، رأى ميجريه ان يدخل فى الموضوع مباشرة . فسأل بواسييه قائلا :
- ماذا تعرف عن الفريد جوسيوم ؟ .

- فريدى الحزين ؟ .

- نعم ..
فزوى بواسييه ما بين حاجبيـــه ، وحـــدج ميجريه بنظرة كلها قلق ، ونسى شراب البرنو ، فوضع كاسه جانبا ، وتغيرت نبرات صوته وهو يسأل كبير المفتشين :
- هل قام اخيرا بنشاط ما ؟ .

انه بواسييه ، كما كان دائما ، وكما يعرفه ميجريه ، لم يتغير ابدا . بواسييه الذى لم يكن ليرضى عن احد من كبار المفتشين مثل رضائه عن ميجريه ، الذى كان وحده يعرف خير سبيل للتفاهم معه ..
ولقـــد كان من حق بواسييه ، ان يصـــبح هو الآخر كبيـــرا للمفتشين ، عن جدارة واستحقاق ، منذ وقت طويل ، لولا تلك العقبة التى كانت تقف فى سبيله دائما ، وتحول بينه وبين اجتياز امتحانات الترقية غير مرة ، الا وهى عدم اتقانه فن الكتابة هجاء واسلوبا .
وقد احسنت الادارة ، عندما قامت بتعيين بيشيه ، كبيـــرا

لمفتشى القسم الذى يحمل عبء العمل به بواسيبه . فقد كان يشبه شيخا متواكلا خاملا ، مما اتاح لبواسيبه ، أن يصبح الرئيس الفعلى لهذا القسم ، غير تارك لرئيسه الاسمى ، الا كتابة التقارير التى كان يتقنها لغة وهجاء .

ولم يكن هذا القسم مختصا بجرائم القتل ــ التى كان يختص بها القسم الذى يراسه ميجريه ــ ولا بالسرقات البسيطة التى يرتكبها رواد وموظفو المحلات التجارية الهواة ومن فى حكمهم .

لقد كان من اختصاص هذا القسم الذى يعمل به بواسيبه ، تعقب اللصوص المحترفين من كل نوع . ابتداء من لصوص الجواهر الذين يركزون نشاطهم فى الفنادق الكبرى بالشانزليزيه ، الى لصوص البنوك ومن فى حكمهم من امثال جوسيوم ، الى آخر هذا النوع من السرقات الجسيمة التى تقع من لصوص محترفين .

أما تلك المعركة التى تدور بين ضباط القسم الجنائى وبين من يتعقبونهم من مجرمين ، فمعركة تتطلب نوعا آخر من الخبرة ، لأنها تتصل بالنفس البشرية ، وبدوافعها الاجرامية : وتقوم على دراسة انحرافاتها وشذوذها من الالف للياء .

ولم يكن من الأمور غير العادية بالنسبة لطبيعة عمل القسم الاول ، ان تجد بواسيبه جالسا فى هدوء ، خارج احد المقاهى مع لص من متسلقى الأسوار والبيوت ، ليتجاذب معه اطراف الحديث على النحو الآتى :

ــ جيلو .. انك لم تقم بنشاط ما منذ وقت طويل .

ــ فعلا يا سيدى .

ــ منذ متى لم نتقابل ؟ .

ــ منذ ستة شهور فيما اظن .

ــ وقد نضب معين مواردك طبعا ! . اليس كذلك ؟ اراهن انك تعد امرا ما ؟ .

ولم يكن ميجريه ولا غيره من زملائه ، يستطيع ان ينهج نهج هذا الحديث مع أحد من القتلة الذين يقعون فى دائرة اختصاصهم .

وخاطر احتمال قيام الفريد بنشاط ما دون علم بواسيبه اقام

الرجل واقعده . فلما لاحظ ميجريه ذلك منه قال له !
ـ لست متاكدا من ان فريدى قد قام بنشاط ما فعلا ، أو أتم عملا من هذا القبيل أخيرا . الا ان الذى اعرفه تماما ، ان لوفتى كانت هنا وغادرت مكتبى منذ لحظة .
وكان ذلك كفيلا باعادة الثقة الى نفس بواسييه ، فعلق على ما سمعه قائلا :

ـ ان لوفتى لاتعرف شيئا . فالفريد ليس من هذا الطراز من الرجال الذى يفضى بسر عمله الى امرأة ، حتى ولو كانت هـذه المرأة زوجته ! .

وتحدث بواسييه عن جوسبوم ، ولم تختلف الصـورة التى رسمها عنه ، كثيرا عن تلك التى رسمتها عنه زوجته . وذلك بالرغم مما كان فى الصورة التى رسمها بواسييه من زوايا رسمية .
ـ اعترف اننى ضقت ذرعا بتضييق الخناق على مثل هـذا الرجل ، حتى ينتهى به الأمر اخيرا الى ان يكبل بالأصفاد . وهل تعرف اننى عنـدما حكم عليه فى آخر مرة بالسجن مدة خمسة اعوام . راودتنى نفسى ان القن محاميه درسا فى فن المرافعة .. وذلك لاننى كنت اشعر بأن هذا المحامى كان ينقصه الكثير ! .

وان كان بواسييه لم يحدد ما يعنيه او يكشف عما تنطوى عليه نفسه بصفة قاطعة ، الا ان ذلك كان واضحا كل الوضوح ، مما لا يحتمل تفسيرا او تأويلا .
ـ ان الفريد فى محيطه ، ليس له مثيل فى باريس كلها ، انه ليقتحم البيوت الآهلة بالسكان ، دون ان يشعر به أحد ، ودون ان تتنبه لوجوده حتى الكلاب . وهو يتقن عمله فنيا تمام الاتقان ، ويقوم به دون ان يستعين بأحد ما ، حتى ولا فى مراقبة جوار المكان . ويمتاز ، علاوة على ذلك كله ، بهدوء اعصاب يعينه على ارتكاب جريمته فى ثبات واتزان . وهو لا يتعاطى الخمر ، ولا يكثر فى الكلام ، ولا يتردد على الأماكن العامة . وان له من المواهب ما يستطيع بها ان يكبح جماح نفسه ولا يندفع فى عمله . فهو يعرف مثلا اين يجد المئات من الخزائن التى قام بصنعها وبتركيبها

والتى يلم بطريقة فتحها وباسرار جهازها . وما كان عليه بعد ذلك الا ان يهاجم ما شاء منها ليستولى لنفسه على ما يصبو اليه ويتمنى غير انه لم يفعل ذلك ابدا ، وكان مقلا فى نشــاطه ، بالرغم مما صادفه فى المرات القليلة التى قام فيها بذلك من ســوء حظ ؟ لم يحصل لنفسه منها الا على النزر اليسير ! .

لم توقف بواسييه عن مواصلة حديثه فترة قصيرة ، تساءل فيها ميجريه عجبا عما كان يدور بخلده ! .

ومما يدعو للسخرية وللعجب معا من امر هذا الرجل ، انه لو قدر له ان يقضى فى السجن مدة مهما طالت ، فانه يعود الى نشاطه بمجرد خروجه منه ، حتى ولو كان فى السبعين من عمره وخرج متوكئا على عصاه . وذلك لان هناك رغبة واحدة تملك عليه نفسه وتشغل تفكيره وتسيطر على كيانه كله الا وهى تلك الصفقة الكبيرة التى يتوق اليها . صفقة واحدة فقط ، يخلد بعدها للراحة ويعتزل حياة الاجرام . وما اظنه الا ظافرا بها فى هذه المرة ! .

فقال ميجريه ليوضح له الأمر :

ـ ابدا .. لقد كانت هذه المرة بالنسبة اليه أسوأها جميعا . انه فى مازق لا يحسد عليه . اذ يبدو انه بينما كان يمارس نشاطه بمكان ما بناحية نويللى ، وجد نفسه وجها لوجه امام جثــة فى نفس الحجرة التى كان يعمل بها ويعالج احدى الخزائن .

ـ الم اقل لك انه سيىء الحظ ؟ . ان مثل ذلك لا يمكن أن يحدث الا له . وهل لاذ بالهرب ؟ . وماذا فعل بالدراجة ؟ .

ـ تخلص منها فى نهر السين .

ـ وهل فر الى بلجيكا ؟ .

ـ ارجح ذلك .

ـ هل اتصل ببروكسل ؟ . ام أن هذا لا يهمك الآن ؟ .

ـ بل يهمنى جدا .

ـ وهل تعرف مكان الحادث بالضبط ؟ .

ـ اعرف انه كان بناحية نويللى ، وفى بيت له حديقه وباب حديدى كبير .

ـ وفى ذلك ما سيبسر علينا التعرف على المكان . اسمح لى بلحظة اعود بعدها فورا .

ولما خرج بواسيبه ، طلب ميجريه كأسين آخرين من شراب البرتو . وانفرد بنفسه ليستعيد الكثير من ذكرياته القديمة ، على نمط هذا الذى وقع قديما فى شارع « لالون » . واستعاد فيما استعاد من ذكريات ، ما كان منها فى مدينة « كان » عندما عهد اليه باحدى تلك القضايا الشديدة التعقيد ، وما كان من انقلابها فجاة الى قضية سهلة مبسطة ، اصبحت اقرب ما تكون الى مادة من مواد اللهو فى موسم الاجازات .

ثم تذكر فجاة ، ان زوجتــه قد طلبت أن يقابلها فى ســوق الزهور ، اذا ما سمح له عمله بذلك . وها هو ذا عمله لم يعد يسمح له بشىء من هذا . حيث عاد بواسيبه بدوسيه استخرج منه بعض الصور الفوتوغرافية لالفريد جوسيوم .

ـ اليك مجموعة من الصور التى اخذت له !

وكان الوجه ، وجها جادا رزينا ، وليس وجه عابث مستهتر . التصق جلده بعظامه فكادت أن تبرز منه . وبدت نظراته حادة ساحرة . وبالرغم من ان هذه الصور لم تكن الا صورا رسمية ، الا انها لم تخف طابع الرجل الحزين وكآبة نفسه ، لم تخف لماذا لقب الفريد جوسيوم ، بفريدى الحزين .

ـ هل تحب أن أتلو عليك سجله ؟ .

ـ فيما بعد .. ان ما يهمنى الآن هو القائمة .

واثلج الطلب الاخير صدر بواسيبه سرورا . وكان ميجريه يعلم مقدما بذلك ، لانه كان متاكدا من أن بواسيبه لا يفوته اعداد مثل هذه القائمة .

ـ هل كنت تعلم انى ساحضر القائمة معى ؟

قالها مزهوا فخورا .

ـ كنت متأكدا من ذلك .

اما هذه القائمة ، فعبارة عن كشف مستخرج من دفاتر مؤسسة بلانشار ، مبينا به جميع الخزائن التى تم تركيبها واعدادها ابان خدمة الفريد جوسيوم بالمؤسسة .

ــ لحظة حتى أراجع الكشف الخاص بتويللى . هذا اذا كنت واثقا ان الحادث قد وقع فى هذه الناحية ؟ .

ــ بهذا اخبرتنى ارنستين .

ــ ما اظن انها حضرت الى هنا لتلقى على مسامعك ببعض الاكاذيب . ولكن .. لماذا جاءت لمقابلتك بالذات ؟ .

ــ لانها تعرفنى منذ ان القيت القبض عليها من سبعة عشر عاما . وهى لم تنس هذا التاريخ ، بعد ان حاولت تجنب ذلك بطريقة ملتوية .

وهز بواسييه راسه دليلا على احاطته بمثل هذه الحيل والالاعيب . لقد كان كل من الرجلين راسخ القدم فى نواحى عمله ، وطيد الثقة بنفسه . وانتشرت فى جو الغرفة رائحة البرنو ، سائلا اصفر متلالئا فى كاسيه البلوريين . وبدا بواسييه يراجع القائمة .

ــ بنك .. لا .. ان فريدى لم يكن من عادته ذلك .. فقد كان يخشى اجهزة التنبيه .. هنا شركة بترول .. ولكنها توقفت عن العمل منذ عشر سنوات . وهنا مصنع للعطور قد اعلن افلاسه منذ عام ! .

واخيرا توقف القلم فى يد بواسييه عند احد الاسماء ، وقرا بصوت مرتفع :

ــ جيللوم سيريه ، طبيب إسنان ، ٤٣ ب ، شارع لافيرم ؟ تويللى .. هل تعرف هذا الاسم والعنوان ؟ . هذا الشارع يمر عبر حديقة الحيوان فى محاذاة طريق ريتشارد والاس .

ــ اعرف ذلك .

ــ ثم نظر كل منهما للآخر . وتبادلا ما كان يجول بخاطر كل منهما . واخيرا قال ميجريه :

ــ هل بين يديك عمل يشغلك ؟ .

ــ كنت اعد بعض الملفات لاننى راحل الى بريتانى غدا .

ـ اذن .. هيا بنا .
ـ مهلا حتى احضر قبعتى .. هل ترى ان اتصل ببروكسل اولا ؟ .
ـ بكل تأكيد .. وبهولاندا ايضا .
ـ حسنا .
واستقلا الاوتوبيس الى بغيتهما .. وما أن وصلا الى شارع دى لافيرم الهادىء الساكن ، حتى اتخذا لهما مكانا حول مائدة على شرفة مطعم صغير ليتناولا طعام الغداء .

ولم يكن هناك من رواد المطعم ، غير ثلاثة رجال من عمال البناء ، يحتسون النبيذ الأحمر مع وجباتهم الخفيفة . وفى الناحية الاخرى من الطريق ، كانا يريان امامهما بابا كبيرا من الحديد المطروق ، لا يستبعد ان يكون هو المعنى برقم ٤٣ ب .
ولم يكونا على عجلة من أمرهما . فان صح ان هناك جثة ما فى هذا البيت فقد كان لدى القاتل متسع من الوقت ، تخلص فيه من هذه الجثة .
وقامت بخدمتهما احدى فتيات المحل ، واقبل عليهما مديره يرحب بهما ويحييهما .

ـ الجو جميل يا سادتى .
ـ الجو جميل فعلا .. هل يوجد طبيب أسنان بالقرب من هذا المكان ؟ .
هناك فى الجانب المقابل لنا .. ولكننى لا اعرف مدى خبرته . ان زوجتى تفضل طبيبا آخر فى شارع سباستبول .. واعتقد ان الطبيب المقابل لنا مرتفع الاجر ، لاننى لا أرى الكثيرين من المرضى يترددون عليه .
ـ هل لك به معرفة ؟ .
ـ قليلا ..
وتوقف مدير المطعم قليلا ، وراح يتأملهما فاحصا ، ثم استقر نظره على بواسييه .
ـ انكما من ضباط الشرطة .. اليس كذلك ؟ .

ورأى ميجريه انه من الأوفق أن يجيب بالايجاب .

ـ هل ارتكب شيئا ؟ .

ـ اننا نقوم بجمع بعض التحريات فقط . كيف يبدو ؟ .

ـ اكثر طولا واضخم جسما منى ومنك .

قال ذلك وهو يتوجه بنظراته الى كبير المفتشين .

ـ انه عملاق ضخم ! .

ـ وكم يبلغ من العمر ؟ .

ـ حوالى الخمسين .. ان هيئته لا تحمل على الاعتقاد بانه طبيب اسنان .. كما يبدو فى عينى من يراه ، اقرب ما يكون لتلك الهيئة التى يبدو بها الرجل الاعزب .

ـ انه غير متزوج ؟ .

ـ مهلا .. فى الواقع ، وعلى قدر ما اذكر ، قد تزوج فعلا ، وكان ذلك منذ عامين تقريبا . ويوجد بالمنزل ايضا امراة مسنة هى والدته فيما اظن . وهى التى تخرج للسوق كل صباح .

ـ أيوجد لديهم خادم ؟ .

ـ لا .. اللهم الا امراة تحضر فى كل صباح لتؤدى ما تتطلبه نظافة البيت من اعمال فى ساعة أو ساعتين . ولكننى لست متاكدا من كل هذا الذى اتحدث به .. اننى لا اعرفه الا معرفة سطحية اتاحتها لى رغبته فى التردد على المطعم لتناول كاس من الخمر خلسة ..

ـ خلسة ؟ ! .

ـ نعم .. فليس من عادة من هم من طبقته أن يترددوا على مكان مثل هذا . فاذا ما عن له فى وقت ما أن يفعل ذلك ، يفعله خلسة محاذرا ان يراه احد . وهو لا يتعاطى غير النبيذ الاحمر ، ويطلب منه اكثر من كاس ، يزدردها دفعة واحدة ، ثم يدفع الحساب ويخرج مسرعا .

ـ وهل كنت تلاحظ تأثير الخمر عليه ؟ .

ـ لا .. وكنت الاحظ انه بمجرد أن يشرع فى الانصراف يضع فى فمه شيئا حتى لا تفوح منه رائحة الخمر .

ـ وكيف تبدو والدته ؟.
ـ انها امرأة مسنة ضئيلة الجسم تتشح بالسواد . وهى منطوية على نفسها لا تميل الى الاختلاط بأحد .
ـ وزوجته ؟ .
ـ لم ارها الا فيما ندر ، عندما كانت تخرج معه فى السيارة ولكننى سمعت انها أجنبية . وهى تشبهه ضخامة وطولا .
ـ وهل تظن انهم غائبون عن المنزل فى عطلة ؟ .
ـ يمكن التحقق من ذلك . ان آخر مرة رأيته فيها منذ يومين او ثلاثة عندما قدمت اليه كأسين من النبيذ الأحمر .
ـ منذ يومين أو ثلاثة ؟ .
ـ أمهلنى لحظة . فقد كان ذلك عندما حضر العامل ليصلح مضخة البيرة . سأتأكد من هذا بسؤال زوجتى .
ولما استفسر من زوجته ، تأكد له ان ذلك كان من يومين سابقين ، اى فى يوم الثلاثاء ، قبل ان يكشف الفريد جوسبوم عن جثة المرأة ببضع ساعات .
ـ هل بوسعك ان تذكر على وجه التحديد متى كان ذلك ؟.
ـ لقد كان يحضر دائما حوالى السادسة والنصف .
ـ من البيت مباشرة ؟.
ـ نعم .. الا يمكن ان تطلعنى على السبب فى كل هذه الأسئلة ؟ .
ـ ليس هناك اى سبب على الاطلاق . انها مجرد تحريات .
ولكن الرجل لم يقتنع بذلك . وبدا هذا فى عينيه واضحا جليا . وعندما هما بالانصراف سألهما :
ـ هل ستعودان ؟ .
ثم نظر الى كبير المفتشين موجها كلامه :
ـ أو يمكن ان تكون المفتش ميجريه ؟ .
ـ ومن أخبرك بذلك ؟ .
ـ لقد صرح أحد هؤلاء الرجال الثلاثة بانه عرف شخصيتك.

فاذا ما صح ذلك ، فستسر زوجتى كثيرا بأن تراك حقيقة ماثلة امامها .
ـ فليكن ذلك عند عودتنا .

وسارا جنبا الى جنب ، فى الجانب المطل من الشارع .. ميجريه يدخن غليونه ، وبواسييه يعبث بلفافة تبغ بين اصابعه . وكما هو الحال فى اية مدينة صغيرة تبعد عن باريس بحوالى خمسين ميلا ، كان هناك من المنازل الخاصة المستقلة ، اكثر مما كان من العمارات والشقق . كما كان من بينها بعض الفيلات الكبيرة التى سبق لبعض الأسر ان شيدتها منذ قرن أو اكثر .

ولم يكن بهذا الشارع باب حديدى كبير ، غير هذا الباب الذى يقع فى مواجهة المطعم الصغير ، وكانت تمتد خلفه حديقه من النجيل الأخضر ، بدت تحت اشعة الشمس يانعة مزدهرة . وعلى اللافتة النحاسية كتب بحروف كبيرة :

جيللوم سيريه
جراح اسنان

وبحروف صغيرة :

من الساعة الثانية الى الخامسة مساء

بناء على موعد سابق

وكانت اشعة الشمس تنعكس على واجهة المنزل ، فتشع حجارته بلونه الأصفر الزاهى ، وكانت جميع نوافذ المنزل مغلقة ، الا نافذتين تركتا مفتوحتين ، ولاحظ بواسييه تردد ميجريه .
ـ هل ستدخل ؟ .
ـ وماذا سنخسر من ذلك ؟ .
وقبل أن يعبرا الشارع ، نظر ميجريه يمنة ويسرة ، وفجأة زوى ما بين حاجبيه ، واتجه نظر بواسييه الى حيث كان زميله يحدق النظر وقد تسمرت عيناه ، ثم صاح دهشا :
ـ لوفتى ! .

وكانت تتقدم فى هذه اللحظة ، من ناصية شـارع ريتشـارد والاس ، واضعة على راسها نفس القبعـة الخضراء التى كانت تضعها فى الصباح . وما أن وقع نظرها على ميجريه وبواسييه ، حتى توقفت لحظة ، ثم استأنفت سيرها فى اتجاههما .

ـ هل كان ظهورى مفاجأة لك ؟ .

ـ اذن فقد حصلت على العنوان ؟ .

ـ لقد اتصلت بمكتبك تليفونيا منـذ نصف ساعة . واردت بذلك ان اخبرك بأننى تمكنت من الحصول على القائمة ، التى كنت متأكدة من انها يجب ان تكون موجودة فى مكان ما ، لاننى سبق أن رأيت الفريد يراجعها ، ويؤشر على بعض ما هو مدون بها . وما ان انصرفت من مكتبك صباح اليوم ، حتى خطرت لى فكرة من المـكان الذى يحتمل ان يكون الفريد قد أخفاها فيه .

ـ اين ؟ .

ـ وهل يتعين على ان أخبرك بذلك ؟ .

ـ قد يحسن بك ذلك .

ـ انى افضل الا أفعل ذلك على الاقل فى الوقت الحاضر .

ـ وماذا وجدت غير ذلك ؟ .

ـ وكيف علمت بأننى عثرت على غير ذلك ؟ .

ـ لانه لم يكن معك نقود هـذا الصباح ، فكيف تسنى لك أن تنتقلى الى هنا !

ـ فعلا . لقد وجدت مبلغا من المـال .

ـ مبلغا كبيرا ؟ .

ـ اكثر مما كنت انتظر .

ـ وهل تحتفظين بالقائمة ؟ .

ـ لا . لقد احرقتها .

ـ ولمـاذا ؟ .

ـ بسبب ما فيها من تأشيرات ، قد تكون دليلا على الاماكن التى سبق لالفريد ان اقتحمها . ومهمـا يكن من أمر فلست مستعدة ان ازودك بأى دليل ضده .

ثم اتجهت بنظرها الى المنزل :
ـ هل ستحاول الدخول ؟ »
فأومأ ميجريه برأسه ايجابا .
ـ ألديك ما يمنع من ان انتظرك بالمقهى ؟ »
ـ كما تريدين .

ولم تكن قد وجهت كلمة طوال هـذا الحديث لبواسـييه الذى وقف من ناحيته يحدق النظر فيها بعينين حادتين .
وتحرك ميجريه من دائرة الظل يتبعه بواسييه ، حيث سارا تحت وهج اشعة الشمس المحرقة ، على حـين اتجهت ارنستين الى شرفة المقهى .

كانت الساعة قد جاوزت الثانية بعشر دقائق . واذا لم يكن الطبيب متغيبا فى اجازة ، فلابد ان يكون الآن ، فى انتظار مرضاه بناء على ما هو مسطر باللافتـــة النحاسية . ولاحظ ميجريه ان هناك زر جرس كهربى على يمين الواقف بالباب . وما أن ضغط عليه ، حتى فتح الباب على مصراعيه أوتوماتيكيا . واجتاز الحديقة الصغيرة مع زميله ، حيث وجـــدا امامهما بابا آخر ، فقام مرة اخرى بضغط زر الجرس ، الذى اتضـح انه لا يعمـل بطريقة أوتوماتيكية كالاول . وانتظر الرجلان فترة غير قصيرة وقد أصاخا ثم نظر كل منهما للآخر . عندما خيل اليهما انهما يسمعان حركة ما خلف الباب . واخيرا سـمعا فعلا صوت قفل يفتح وسلسلة تسحب ، ثم صوت مزلاج يرفع لتفرج بعده فتحة صغيرة فى الجزء العلوى من الباب .

ـ هل هناك موعد ؟ .
ـ نريد مقابلة مسيو سيريه .
ـ انه لا يقابل احدا الا بناء على موعد سابق .
ولم تنفرج الفتحة باكثر مما انفـرجت به . الأمـر الذى لم يسمح لهما بأن يريا اكثر من ظل وجه امرأة مسنة .
ـ بناء على ما سطر على اللافتة النحاسية .
ـ أن اللافتة فى مكانها منذ خمسة وعشرين عاما .

ـ هل لكَ فى ان تبلغى ابنك ان المفتش ميجـريه يرغب فى مقابلته ؟ .

ومرت فترة اخرى قبل ان يفتح البـــاب ، الذى كشف عن ردهة متسعة قد شكلت ارضها من الرخام الابيض والاسود ، فبدت كدهليز من دهاليز الاديرة القديمة ، وكانت السيدة العجوز التى تخطت الى الخلف لتفسح لهما الطريق ، اقرب ما تكون شبها فى ثيابها براهبات تلك الاديرة .

ـ معذرة يا سيدى المفتش ، لان ولدى لا يهتم بمقابلة المرضى العابرين .

ولاحظ ميجريه أن هذه السيدة تتمتع بشخصية قوية وبرقة اصيلة علاوة على ماتكتسى به من وقار . وكانت تحاول بابتسامتها ان تزيل من نفســه ما يكون قد علق بها نتيجة لتصرفها الاول معه.

ـ تفضل بالدخول . اخشى انك ستضطر للانتظار قليــلا . فقد اعتاد ولدى منذ بضع سنين ، ان يرتاح فى وقت القيــلولة ، وبالذات فى فصل الصيف . تفضل من هنا يا سيدى .

وقامت بفتح باب على يسار الداخل . ولاحــظ ميجريه ان الباب من خشب البلوط المتقن الصنــع . كما لاحظ انه قريب الشبه بأبواب الأديرة ، ان لم يكن احسن منها جودة ورونقــا .. ونفذت الى انفه رائحة هادئة ساحرة تأخذ بالالباب . وقد ذكرته هذه الرائحة بشيء ما حاول ان يدرك كنهــه ، ولــكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا . وكانت نوافذ حجرة الضيوف التى قادتهم اليها مغلقة ، مما جعل الحجرة فى شبه حالة من الاظلام الا من هــذا البصيص الخافت من الضوء الذى تمكن ان ينفــذ من النوافذ المغلقة . ولـمـا خطا ميجريه داخلا الحجرة ، خيل اليه انه يخطو الى صالة حمام رطب بارد .

ولـمـا احتوتهم الغرفة ، وجــد ميجريه نفســه فى عالم قائم بذاته ، غير هذا العالم الذى كان فيه منذ لحظة ، حتى ضوضاء المدينة لم تعد تنفذ الى سمعه . ورأى ان هذا المنزل بكل ما فيه قد ظل على حاله الذى كان عليه منذ قرن من الزمان . فهـــذه

المقاعد ، وتلك المناضد ، وهذا البيانو بكلّ ما عليه من تحف ، تقف جميعا فى مواضعها التى كانت بها لم تتحرك ولم تنقلها يد . حتى تلك الصور الفوتوغرافية الكبيرة المثبتة على الجدران فى اطارها الخشبى الاسود ، تحكى تاريخ قرن مضى ، بازيائه وبتقاليده وبزينة قومه . وقد راى من بينها صورة لسيدة فى الاربعين كانت اقرب شبها بشعرها المقصوص ، من الامبراطورة اوجينى .

وخيل اليه ، ان هذه السيدة التى تقف معهما ، وتدعوهما للجلوس عاقدة ما بين يديها ، ما هى الا ملاك للرحمة قد برز من احدى تلك الصور القديمة .

ـ لست احب ان تظن بى الفضول ، سيدى المفتش ، الا انه لا يوجد بينى وبين ولدى اسرار ما . اننا لم نفترق طوال حياتنا ، مع انه قد جاوز الخمسين . وليست عندى كما ترى اية فكرة عما اتى بك الى هنا . واحب ان تعطينى فكرة عن ذلك قبل ان ازعجه ...

ولم تتم ما كانت تزمع قوله ، واكتفت بتاملهما بابتسامة رقيقة .

ـ ان ابنك متزوج فيما اعتقد ؟ .

ـ لقد تزوج مرتين .

ـ وهل زوجته الثانية موجودة بالمنزل ؟ .

فطافت سحابة من الحزن بعينيها ، وبدا القلق يستحوذ على بواسيبه ، فلم يكن هذا المنزل بالمكان الذى يناسبه .

ـ انها لم تعد تقيم معنا يا سيدى المفتش .

واتجهت الى الباب تغلقه فى هدوء ، ثم عادت الى احدى الارائك لتجلس على حافتها منتصبة القامة ، كما تجلس الفتيات الصغار فى حياتهن الاولى بمدارس الراهبات ، ثم سالته فى صوت خفيض :

ـ ارجو الا تكون قد ارتكبت خطا ما ؟ .

فلما لم يجبها بيجريه بشىء ، تنهدت عاقدةالعزم علىمواصلة حديثها !

ـ اذن فقد كنت على حق فى الاستفسار منـــك عن سبب حضورك ، ما دام الامر يتعلق بها . انك حضرت فى شأن يخصها أليس كذلك ؟ .

فهل بدا من ميجريه ما ينم عن شيء من ذلك ؟ لقد حرص كل الحرص على الا تبدر منه بادرة يمكن ان يشتم منها شيء ما . لقد كان مأخوذا بكل ما فى هذا المنزل ، وبالذات بهذه المرأة التى كانت تخفى وراء ضعفها ارادة عارمة قوية .

ان كل ما فى هــذه المرأة ، كان يدل على ذوق جميل : ثيابها وهندامها وصوتها . انها جديرة بأن تجدها فى قصر من القصور القديمة الموجودة فى الريف او فى متحف من تلك المتاحف التى تحكى تاريخ عصور ولت وانقضت .

ـ بعد أن توفيت زوجة ولدى منذ خمسة عشر عاما ، لم يفكر فى الزواج مرة أخرى .

ـ لقد تزوج مرة اخرى منذ عامين . هذا اذا لم اكن مخطئا ؟.
ولم تدهش لسماعها ذلك ، ولم تعجب من احاطة المفتش بهــذه المعلومات .

ـ لقد تزوج فعلا ، منذ عامين وتصف على وجه التحديد . لقد تزوج من احدى مرضاه ، ولم تكن صغيرة السن حينئذ ، انها كانت فى السابعة والأربعين من سنى حياتها ، هولندية الأصل ، تعيش بمفردها فى باريس ، ان العمر لن يطول بى كثيرا يا سيدى المفتش ، فاننى فى الثامنة والسبعين كما ترى .

ـ ان هذا لا يبدو من مظهرك .

ـ اعرف ذلك . لقـــد عاشت والدتى حتى بلغت الثانيــه والتسعين . وكانت جدتى فى التاسعة والثمانين عندما قتلت فى حادث ما .

ـ ووالدك ؟ .

ـ لقد مات فى سن مبكرة .

قالت ذلك ، وكأنها كانت ترى انه من المســـلم به أن يموت الرجال فى سن مبكرة ، غير متجاوزين مرحلة الشباب .

ـ وكنت انا التى شجعته على الزواج مرة اخرى ، حتى لا يعيش وحيداً بعد موتى .
ـ وهل كان هذا الزواج زواجا غير موفق ؟ .
ـ لست ادرى كيف اعبر عن حقيقة الامر تعبيرا دقيقا ، واعتقد ان السبب فيما كان ، يرجع اصلا الى انها اجنبية . ان هناك الكثير من الامور الدقيقة التافهة التى لا يمكن ان يعتادها المرء . اننى فى حيرة كيف اوضح لك ذلك . فلنبدأ بمسالة الطعام مثلا ! فهى تفضل هذا اللون او ذاك ! ولعلها عندما تزوجت بابنى كانت تتصور انه اكثر ثراء من حقيقته .
ـ الم يكن لها دخل خاص بها ؟ .
ـ الى حد ما . كانت حالتها لا باس بها . ولكن ارتفاع مستوى المعيشة . !
ـ ومتى توفيت ؟ .
ـ توفيت ؟ ! .
وحملقت السيدة بعينيها دهشة فى وجهه وهى تردد ذلك .
ـ انى آسف لما بدر منى ، فقد كنت اظن انها ماتت . لانك كنت تتحدثين عنها بضمير الغائب .
فابتسمت عند سماعها ذلك .
ـ هذا حق . ولكن الامر ليس كما تبادر الى ذهنك ، انها لم تمت ، وان كانت بالنسبة لنا قد ماتت بعد ان فارقتنا .
ـ وهل كان ذلك على اثر شجار ؟.
ـ ان جيللوم ليس من هذا الطراز .
ـ معك مثلا ؟ .
ـ ولا معى يا سيدى المفتش . فقد بلغت سنا يعاب على المرء فيه ما يفعل . ورايت من الحياة الكثير ، ومررت بتجارب عديدة مما يتيح لى ان ...
ـ متى تركت المنزل ؟ .
ـ منذ يومين .
ـ وهل اخبرتك بانها عازمة على ذلك ؟.

ـ لقد كنا نعلم انها ستتركنا فى يوم ما ، وانه لا مفر من بعدها عنا فى نهاية الامر .
ـ وهل تحدثت اليك بشىء من هذا القبيل ؟ .
ـ من وقت لآخر .
ـ وهل ذكرت لك شيئا عن السبب ؟ .
ولم تسرع بالاجابة فى هذه المرة . بل تمهلت قليلا قبل أن تقول :
ـ احب ان اخبرك صراحة بما افكر فيه ! لقد ترددت خشية ان تسخر مما اقول . وما كنت لاحب ان اناقش مثل هذه الامور فى حضرة الرجال . ولكننى اعتقد أن ضابط الشرطة لا يقل عن الطبيب أو الكاهن فى هذه الناحية .
ـ اظن انك كاثوليكية تتبعين كنيسة روما ؟ .
ـ نعم .. وكانت زوجة ابنى بروتستانتية . ولم يكن هذا ليغير من الامر شيئا . لقد كانت فى ادق مرحلة من عمر اية امراة .. هل تفهمنى .. اننا جميعا نجتاز هذه الفترة التى نفقد فيها الثقة بأنفسنا ، ونمر بهذه التجربة التى تذهب بنا مذاهب شتى من الفكر والخيال .
ـ فهمت ما تعنين . أهذا كل ما فى الامر ؟ .
ـ هذا وغيره على الارجح . وانتهى بها الامر اخيرا ، الى انها لم تكن تفكر الا فى هولندا ، مسقط رأسها الاصلى ، وكانت تقضى طوال النهار وطرفا من الليل ، فى الكتابة الى اصدقائها الذين احتفظت بهم فى هذه البلاد .
ـ الم يصحبها ابنك فى رحلة الى هولندا ؟ .
ـ نعم . لم يصحبها .
ـ وهل كان سفرها فى يوم الثلاثاء ؟ .
ـ لقد استقلت قطار الساعة التاسعة والاربعين دقيقة من محطة الشمال .
ـ قطار الليل ؟ .
ـ نعم . فقد قضت النهار فى اعداد حقائبها .

ـ وهل توجه ولدك معها الى المحطة ؟.
ـ لا .
ـ وهل استقلت سيارة اجرة ؟.
ـ لقد خرجت لاستحضار احداها من ناصية شارع ريتشارد والاس .
ـ وهل اتصلت بكما بعد ذلك ؟ .
ـ لا . وما اظنها شعرت بان الامر يستلزم الكتابة الينا .
ـ وهل كان هناك مشروع طلاق ؟ .
ـ لقد اخبرتك باننا ندين بالكاثوليكية . اضف الى ذلك أن ولدى ليس به رغبة فى الزواج مرة ثالثة . الا اننى لازلت اجهل السبب فى زيارة الشرطة لنا .

ـ بودى لو علمت منك يا سيدتى ، تفصيل ما حدث هنا ليلة الثلاثاء ، وقبل أن تجيبينى عن استفسارى ، احب ان اعلم اولا الاجابة عما يأتى : هل كان لديكم خادم ؟ .

ـ لا . ان أوجينى تعمل لدينا فى ساعات معينة فقط . فهى تحضر فى التاسعة صباحا وتنصرف فى الخامسة مساء .
ـ وهل هى بالمنزل الآن ؟ .
ـ ان اليوم هو يوم عطلتها . وستكون هنا غدا صباحا .
ـ وهل تقيم بالقرب من هذا المكان ؟ .
ـ أنها تقيم فى بوتو ، على الضفة الاخرى من السين ، فى مواجهة الجسر مباشرة .
ـ اظنها قد ساعدت زوجة ابنك فى اعداد حقائبها ؟ .
ـ وحملت الحقائب الى الطابق الأرضى .
ـ وكم كان عددها ؟ .

ـ صندوق وحقيبتان من الجلد على وجه التحديد . غير صندوقين صغيرين ، احداهما للجواهر والثانى لمفردات الزينة من عطور وغيرها .
ـ وهل انصرفت أوجينى فى الخامسة كعادتها ؟.
ـ نعم ! ما فى ذلك شك . وارجو ان تغفر لى ما تراه من

اضطراب فى اقوالى . وفى الحق ان هذه اول مرة اتعرض فيها لمثل هذا الاستجواب ، ويجب ان اعترف .

ــ وهل خرج ولدك من المنزل فى ذاك المساء ؟ .

ــ اى وقت تعنى بسؤالك ؟.

ــ فلنقل قبل العشاء مثلا .

ــ خرج يجول قليلا كعادته .

ــ اظن انه خرج لتعاطى قليل من الخمر ؟.

ــ ان ولدى لا يقرب الخمر .

ــ مطلقا ؟ .

ــ لا شىء غير كاس من النبيذ مع وجبة الغداء .

ولاحظ ميجريه ان زميله يحاول جاهدا ان يتحكم فى اعصابه بالعبث فى شاربه .

ــ وما ان عاد ولدى من جولته ، حتى جلسنا نتناول طعام العشاء . . لقد اصبحت هذه الجولة من اشد عاداته التصاقا به ؟ بعد ان كان يخرج عند كل غروب ، مصطحبا معه الكلب الذى كنا نقتنيه .

ــ الا يوجد لديكم كلاب فى هذه الايام ؟ .

ــ نعم . لم تكرر ذلك منذ ان نفق بيبى من اربعة اعوام .

ــ ولا قطط ؟ .

ــ لم تكن زوجة ابنى لتطيق مثل هذه الحيوانات . ارأيت هاأنذا اشير اليها مرة اخرى بضمير الغائب . وفى الحق ان مرجع ذلك الى ما يسيطر علينا من شعور بانها اصبحت جزءا من الماضى .

ــ وهل كنتم الثلاثة تجلسون معا الى مائدة الطعام ؟.

ــ كانت ماريا تدخل القاعة فى نفس الوقت الذى احمل فيه الحساء .

ــ وهل حدث ذلك فى تلك الليلة ؟.

ــ نعم . كما كانت عادتنا دائما .

ــ الم يقع شجار او تدور مناقشة فى اثناء ذلك ؟.

ـ لم يقع شيء من هذا القبيل . ولم يتفوه احد منا بكلمة فى اثناء جلوسنا الى المائدة . الا اننى لاحظت ان جيللوم كان واجما لقد حاول فى مبدأ الأمر ان يبدو غير مكترث ، الا انه لم يستطع ان يستمر فى ذلك ، لانه كان مرهف الشعور كما تعودت ان اراه دائما . ولم يكن الفراق بالشيء اليسير بين شخصين عاشا معا اكثر من عامين .

وما سمعته السيدة المسنة التىجاوزت السبعين ، لم يسمعه اكل من ميجريه او بواسييه ، ولكنهما لاحظا انها تصيخ لشيء ، ولعلها قد جانبها التوفيق فى ذلك . حيث ان ميجريه بمجرد أن ادرك هذا ، نهض عن مقعده واتجه صوب الباب وفتحه ، فوجد نفسه وجها لوجه أمام رجل اطول منه قامة واعرض منكبين واثقل وزنا ، وقد اصطبغوجهه بحمرة الخجل ، لضبطه متلبسا باستراق السمع ، مستترا وراء الابواب الموصدة .

ويبدو ان والدته كانت صادقة ، عندما قالت ان ولدها فى راحة القيلولة ، اذ كان شعره غير ممشط ، تتدلى خصلة منه على جبهته ، كما دلت ثيابه فى مجموعها على انه نهض مسرعا من نومه واخيرا قال له ميجريه :

ـ هلا تكرمت بالدخول يا مسيو سيريه ؟

ـ انى أعتذر عما كان منى . لقد سمعت اصواتا فاعتقدت . . .

وكان يتكلم فى ثبات متنقلا بنظراته بينهم جميعا .

ثم نهضت والدته عن مقعدها وهى تقول موضحة للأمور !

ـ هذان السيدان من ضباط الشرطة .

ولم يسالها ايضاحا اكثر مما قالت . وعاد يحملق فى وجوههم جميعا مرة اخرى ، وهو يصلح من شأن هندامه .

ـ اخبرتنا السيدة سيريه ، بأن زوجتك قد رحلت فى اليوم الأسبق .

وما أن سمع ذلك ، حتى استدار ناحية السيدة العجوز ليواجهها وقد زوى ما بين حاجبيه مقطبا جبينه ، ثم سألها وهو يضغط على كل حرف من كلماته قائلا :

ـ ماذا يريد هذان السيدان على وجه التحديد ؟ »
ـ لست أدرى .
وقد اسقط فى يد ميجريه . اما بواسييه فكان يتساءل عن الطريقة التى سيتخلص بها رئيسه من هــذا الموقف . فلم يكن هؤلاء الناس ممن تنفع معهم اســاليب رجال الشرطة المتعارف عليهــا .
ـ فى الواقع يامسيو سيريه ، ان موضوع زوجتك جاء عرضا فى اثناء حديثنا . لقد اخبرتنا والدتك انك كنت تأخذ قسطك من الراحة . فتجاذبنا اطراف الحديث لنقطع الوقت فى انتظارك .» لقد جئنا الى هنا ، زميلى وانا ، لأن لدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بانك كنت ضحية لشروع فى سرقة .
ولم يكن سيريه بالرجل الذى يخشى مجابهة غيره وجها لوجه فحدج ميجريه بنظرة فاحصة ، وكأنه يريد بها أن يسبر اعماق نفسه .
ـ على أى أساس واتتك هذه الفكرة ؟»
ـ مثل هذه المعلومات تصلنا احيانا بطريقة سرية »
ـ لعلك تعنى بذلك مرشدى الشرطة ؟»
ـ فليكن الأمر كذلك .
ـ يؤسفنى ان أخيب ظنكما .
ـ أو يعنى هذا ان منزلك لم يتعرض للسطو ؟»
ـ لو حدث ذلك ، لكنت اول من يبلغ السلطات المحلية به .»
ولاحظ ميجريه ، ان هذا الرجل كان ابعد ما يكون عن التفاهم أو عن ان تلين له قناة .
ـ ومع ذلك ففى حوزتك احدى الخزائن ؟»
ـ أعتقد انه من حقى ان ارفض اجابتك عما تسألَ عنه . ومع ذلك فلن يضيرنى فى شيء ان اقرر لك اننى اقتنى احداها .
وكانت والدته تحاول من ناحيتها ان تلطف من حدته باشارات منها ، وبالرغم من ادراكه ذلك ، فقد ظل على حاله لا يتغير .
ـ وهى ، اذا لم اكن مخطئا ، احــدى تلك الخزائن التى قام بتركيبها اخوان بلانشار منذ ثمانية عشر عاما .

وظل الرجل واقفا فى مكانه لا يتحرك ، ثابتا كالطود ، لا يزعزعه شىء . وعاد كل من ميجريه وبواسييه الى الجلوس فى ركن مظلم من الحجرة ، وراح ميجريه يتأمل الرجل مقارنا بين هيئته وبين احدى الصور الفوتوغرافية المثبتة على الجدران .

ــ لا اذكر على وجه التحديد متى وضعت فى بيتى . كما انه ليس من شأن كائن من كان ان يعرف متى كان ذلك .. ان هذا الامر من شأنى انا وحدى .

ــ لاحظت عند دخولنا ان الباب محصن بسلسلة وقفل .

ــ هذا شأن الكثير من ابواب المنازل .

ــ أظن ان غرف النوم بالطابق العلوى .

ولم يجب سيريه الا بشىء .

ــ واظن ان غرفة المكتب والعيادة بالطابق الأرضى ؟

وفهم ميجريه باشارة من يد السيدة أن الغرفتين المذكورتين تقعان بجوار غرفة الضيوف التى كانوا يجلسون بها .

ــ هل تسمح لى بالقاء نظرة على المكان ؟

وفغر الرجل فاه ، وفهم ميجريه انه على وشك ان يجيب بلا وادركت ذلك والدة الرجل ايضا فتدخلت قائلة :

ــ ماذا يمنع من اجابتهما الى ما يطلبان ؟ فلعلهما ان يريا ويقتنعا بأن شيئا مما يقولان لم يقع .

ورفع الرجل كتفيه استهتارا ، ولم يتخل عن عناده وصلابة رأيه ، كما ظل واقفا فى مكانه ، ولم يتحرك ليصحبهما الى الغرف المجاورة .

وتقدمتهما السيدة سيريه الى حجرة مكتب هادئة من الطراز القديم على نمط حجرة الضيوف . ووقع نظرهما على خزانة كبيرة الحجم ، خلف مقعد من الجلد الاسود .. وخطا بواسييه نحو الخزانة ، وفحصها من الخارج بعين خبير وبلمسات فنية حاذقة . فعلقت السيدة على ذلك قائلة :

ــ انت ترى ان كل شىء على ما يرام .. ارجو الا تعلق على تصرف ولدى معكما . ولكن ...

ثم توقفت فجاة عن اتمام حديثها ، عندما رأت ابنها فى فرجة الباب يسلط عليهم نظراته القاسية الحانقة .

وتحركت نحو دولاب الكتب ، وهى تشير بيدها قائلة :

ـ لا يدهشك هذا الجمع من كتب القانون . انها كانت لزوجى الذى كان يعمل محاميا .

ثم تقدمت لتفتح بابا آخر يؤدى الى غرفة العيادة ، التى كانت بسيطة عادية بكل ما فيها من معدات وأدوات لجراحة الاسنان .. وكان النصف الاسفل من زجاج النوافذ من الزجاج الأبيض السميك .

وفى عودتهم ، مجتازين غرفة المكتب ، عرج بواسيه على احدى النوافذ الموجودة بها ، ومر باصابعه عليها ، ثم اوما براسه الى ميجريه ، الذى ادرك بدوره ماكان يعنيه زميله بذلك .

ـ هل ثبت زجاج هذه النافذة حديثا ؟

فاجابت السيدة فورا :

ـ منذ اربعة أيام . فقد اطاحت العاصفة بزجاج هذه النافذة ولعلك تذكر قيام هذه العاصفة ؟

ـ وهل قام باصلاحها العامل المختص بذلك ؟

ـ لا .

ـ اذن فمن يكون غيره ؟

ـ ابنى . انه يميل للقيام بمثل هذه الأعمال . وهو الذى يقوم بمثل هذه الاصلاحات البسيطة التى نحتاج اليها احيانا .

وهنا قال جيلوم سيريه فى عصبية ظاهرة :

ـ ليس لهذين السيدين اى حق فى مضايقتنا بمثل هذه الاسئلة . اماه ! ارجو الا تجيبيهما عن شىء بعد ذلك .

فادارت السيدة ظهرها لولدها ، وابتسمت لميجريه ابتسامة فهم منها انها تريد أن تقول له :

ـ لاعليك منه . لقد سبق لى ان انبأتك بذلك .

ثم تقدمتهما الى باب المنزل ، على حين ظل ولدها واقفا فى غرفة الضيوف وعند الباب مالت على ميجريه هامسة :

ـ اذا كان هناك ما تريد ان تقوله لى ، فلتحضر لمقابلتى عندما لايكون موجودا .

وخرجا الى ضوء النهار ، حيث عادا ليصطليا بحرارة الشمس وما ان اجتازا باب الحديقة الحديدى ، حتى لمحا ارنستين بقبعتها الخضراء ، جالسة بشرفة المقهى عبر الشارع .

وعندئذ توقف ميجريه عن متابعة سيره . ولعله كان يفكر فى الانعطاف يسارا ليتجنب لقاءها . لأنه كان يخشى ماقد يتبادر الى ذهنها ، من ان عليهما ان يخبراها بطرف مما كان .

واخيرا قرر كبير المفتشين ان يتوجه الى حيث كانت تجلس لوفتى ، التى كانت تتاملهما وهما فى طريقهما اليها ، بنظرات فضول مستفسرة .

## الفصل الثالث

ـ ماذا كان من عملك اليوم ؟.

بهذا سالت السيدة ميجريه زوجها عندما جلسا يتناولان طعامهما امام النافذة المفتوحة .

وكانا يشاهدان فى المنازل المقابلة ، كثيرا من الناس يتناولون طعامهم ايضا ، وقد اكتفى الرجال بارتداء قمصانهم نتيجة لحرارة الجو الشديدة . وكان البعض الآخر ممن فرغوا من تناول طعامهم يطلون من نوافذهم ، متكئين بمرافقهم على قواعدها . وكنت تسمع نغمات الموسيقى المنبثقة من الراديو ، مختلطة بصياح الاطفال وبضوضاء المكان كله .

ـ لا شىء غير ما تعرفين من طبيعة عملنا . هناك امراة يقال انها قد قتلت . ويرجح ان تكون حية ترزق فى مكان ما .

ورأى انه من سبق الحوادث ان يتحدث بأكثر من ذلك . كما انه كان يشعر فيما بينه وبين نفسه ، بانه كان متراخيا الى حد ما فى تصرفه . لقد أمضى ثلاثتهم ، هو وبواسييه وأرنستين ، وقتا طويلا فى جلستهم بشرفة المقهى فى شارع دى لافيرم ، وكانت ارنستين هى الوحيدة من بينهم الاكثر حماسا وفاعلية .

وبدات تكشف من منافذ الشك بحديثها وأسئلتها !

ـ اذن فقد قرر عدم صحة ما حدث ؟ .

ـ فى الواقع انه لم يقرر شيئا ، فقد كانت والدته هى التى تمسك بزمام الحديث ، أما هو فقد القى بنا خارج المنزل .

ـ وهل نفى وجود جثة ما بغرفة المكتب ؟.

وكان من الواضح ، انها قد حصلت على بعض المعلومات ؟ من مدير المقهى عن سكان البيت ذى الباب الحديدى الكبير .

ـ ولماذا لم يبلغ الشرطة عن محاولة بعضهم السطو على منزله ؟ .

ـ أن احدا ما لم يهاجم منزله كما يقول .

ولما كانت أكثر دراية من غيرها بوسائل فريدى الحزين قالت :

ـ الم تكتشفا أن احدى النوافذ ينقصها زجاجها ؟.

ونظر بواسييه الى ميجريه نظرة كانت تعنى انه يشير عليه بعدم الافضاء بشىء ما ، الا أن كبير المفتشين ضرب صفحا عن ذلك قائلا :

ـ وجدنا فعلا أن زجاج احدى النوافذ قد تم اصلاحه حديثا ويقال بانه تحطم منذ اربعة او خمسة أيام ليلة العاصفة .

ـ انه يكذب .. !

ـ فعلا .. لابد أن هناك من يكذب ..

ـ أو تعنينى بذلك ؟ .

ـ انا لم اقل هذا . قد يكون الفريد .

ـ وماذا يضطره لهذا ؟ ولماذا كان يكلف نفسه عناء سرد هذه القصة الطويلة فى التليفون ؟.

وهنا تدخل بواسييه قائلا وهو يحدجها بنظراته :

ـ ربما لم يخبرك الفريد بذلك .

ـ وما هو الباعث لى على اختلاق هذه الرواية ؟ او تظن ذلك أيضا يا مسيو ميجريه ؟ .

ـ انا لا أظن شيئا .

قال ميجريه ذلك وهو يبتسم كى قموكس ؟ وكان يحس فى جلسته هذه بكل معانى الراحة والسعادة . لقد كان قدح البيرة الموضوع امامه ، مثلجا منعشا تفوح منه رائحة هى اقرب ماتكون لتلك الرائحة التى تنتشر فى جو الريف وتسرى مع نسيمه ... ولعل ذلك يرجع الى قرب المكان الذى يجلسون فيه من غابة بولونى .

وقضوا ما بعد الظهيرة فى تراخى الكسل ، يأتون على اقداح البيرة ، الواحد تلو الآخر ، وبعد ان آن الأوان لتركهم المكان غادروا المقهى فى طريق عودتهم الى باريس . ورأى ميجريه انه يحسن بهما اصطحاب الفتاة معهما ، حتى لا يتركاها بعيدا عن قلب باريس . وتركتهما عند شاتيليه بعد أن قال لها ميجريه :

ـ اتصلى بى تليفونيا بمجرد استلامك لرسالة منه .

واحس منها بان رجاءها فيه قد خاب ، وبانها كانت ترى فيه شخصا آخر غير ما رأته . وتنبأ بانها لابد محدثة نفسها ، بانه قد تقدمت به السن ، وبأنه لم يعد بأفضل من غيره من رجال الشرطة ولذلك فلن يحرك ساكنا لكشف غوامض هذه القضية .

وبعد أن أصبحا وحيدين ، اقترح بواسييه قائلا :

ـ هل يستدعى الامر أن اؤجل القيام باجازتى ؟.

ـ ما اظن الا ان زوجتك قد اعدت للامر عدته ؟ .

ـ ان الحقائب فعلا بالمحطة. لقد كان من المفروض أن نسافر بقطار الساعة السادسة صباحا .

ـ ومعكما ابنتك ؟ .

ـ طبعا .

ـ اذن .. فعلى بركة الله .

ـ الن تكون بحاجة الى ؟ .

ـ يكفينى القائمة التى قدمتها لى .

وعاد وحيدا الى مكتبه ، وكاد يغفى فى مقعده .. فقد ولت الفراشة التى كان يتسلى بها وذهبت ، ومالت الشمس فى الناحية الاخرى من واجهة المبنى . ولما كان لوكاس غير موجود

لقد رأى أن يدعو لمقابلته جانفييه الذى عاد من اجازته حيث كان أول من قام بها فى شهر يونيو لحضور حفل زواج فى اسرته .

ـ اجلس . عندى مهمة لك . هل قدمت تقريرك ؟ .

ـ لقد انتهيت منه الآن .

ـ حسنا ! اكتب مذكرة بما ساكلفك عمله . أولا ، عليك أن تبحث بمجلس مدينة نويللى عن اسم ولقب سيدة هولندية تزوجت من رجل يدعى جيللوم سيريه منذ عامين ونصف . العنوان ٤٣ ب شارع دى لافيرم .

ـ هذا موضوع سهل .

ـ ربما . وكانت هذه السيدة تعيش فى باريس فترة ما .. وعليك ان تحاول الكشف عن محل اقامتها ، وعن عملها ، وعمن لها من اقارب ان وجـــدوا ، وعمـــا كانت تملك ، الى آخر تلك المعلومات ...

ـ حســـنا .. !

ـ ومن المفروض انها تركت منزلها فى شارع دى لافيرم يوم الثلاثاء ما بين الثامنـــة والتاسعة مساء واستقلت القطار الى هولاندا . كما انها ذهبت بنفسها لاستحضار ســـيارة اجرة من ناصية شارع ريتشارد والاس لنقل حاجياتها .

ودون جانفييه كل ذلك فى مفكرته ، ثم استفسر من رئيسه :

ـ اهذا كل ما فى الامر ؟ .

ـ لا . اليك بعض التوجيهات التى قـــد تفيدك اختصارا للوقت . اريد ان تســـتجوب الجيران عن معلوماتهم بشـــأن آل سيريه .

وكم يبلغ عددهم ؟ .

ـ أم وابنها . الأم فى حوالى الثمانين من عمـرها . والابن طبيب اسنان . وحاول ان تهتدى الى سيارة الأجرة ، كما يجب

ان تجمع بعض المعلومات من عمال المحطة والقطار ، وتقوم ببعض التحريات التى قد تنفعنا .

ـ هل ستسمح لى بسيارة للانتقال بها ؟ .

ـ نعـــم .

وكان هذا هو كل ما قام به بعـد ظهر ذلك اليوم . اللهم الا ما قام به من الاتصال بشرطة بلجيكا واعطائهم بيـــانا باوصاف فريدى الحزين . وما كان من حديثه التليفونى الطويل مع مفتش الجوازات المقيم بمدينة جومونت عند الحدود . والذى علم منه : انه هو الذى قام بنفسه بمقابلة هذا القطار عند الحدود ، والذى يتفق ميعاد وصوله مع ميعاد القطار الذى قيل عنه أن الفريد استقله من محطة الشمال ، واكد له انه لا يذكر انه راى بين ركاب هذا القطار شخصا تنطبق اوصافه على محطم الخزائن المحترف .

ولم يكن كل ذلك ليعنى عنده شيئا . فما عليه الا ان يترقب وينتظر . وبعد ان وقع ميجريه بعض الاوراق نيابة عن المدير العام توجه الى بار دوفين مع رئيس قسم السجلات حيث تناول شرابا منعشا ثم عاد الى منزله .

وسالته السيدة ميجريه بعد أن فرغا من طعامهما :

ـ كيف ستقضى المساء ؟ .

ـ هيا بنا نقوم بجولة .

وقاما بجولتهما فى بعض الشوارع الرئيسية . وانتهى بهما المطاف الى شرفة احـد المقاهى . وكانت الشمس قد غربت .. وبدات حرارة الجو تخف حدتها ، وهب النسيم منعشا لطيفا .. وجلس رواد المقهى فى صمت يستريحون مما كانوا يعـانونه من حياتهم اليومية ، ويستمعون لانغـام الموسيقى التى كانت تصل الى مسامعهم من داخل المقهى .. واضاءت المكان انوار الاعلانات ومصابيح الليل المتلالئة ، فبعثت فى الجو روحا من حياة الليل بعد ركود الغروب .

وعادا الى المنزل كما عاد غيرهما الى بيته ، وانقضى يوم ليعقبه يوم آخر من ايام الحياة .

وكان اليوم التالى كسابقه ، وبدا صباحه صافيا مشمسا . وبدلا من أن يتوجه ميجريه الى الادارة ، مرج على رصيف دي جيماب حيث وجد المقهى المجاور لسانت مارتن بلافتته التقليدية « وجبات خفيفة ليلا ونهارا » ، وقرر ان يدخل تنفيذا لما عقد العزم عليه ، وقصد توا الى المنضدة الموضوع بجوارها التليفون وقال للساقى :

ــ الى بكاس من النبيذ الأبيض .

وبدون مقدمات وجه سؤاله الذى دخل من اجله ، فاجابه الرجل فورا :

ــ لست اذكر متى كان ذلك على وجه التحديد . غير اننا سمعنا رنين التليفون فعلا . وكان ضوء النهار قد بدا ينتشر .. ولم اكلف نفسى عناء التوجه للرد على النداء .. وكذلك زوجتى المبكر . ثم سمعنا ارنستين تهبط على الدرج لتجيب النداء الذى لاننا كنا نعلم انه لا يمكن ان يكون ذلك لنا فى مثل هذا الوقت كان لها فعلا . ولاحظت الها قضت وقتا طويلا فى حديثها .

اذن فقد كان ما قالته لوفتى من هذه النقطة حقا .

ــ ومتى خرج الفريد فى الليلة التى سبقت هذا الحديث التليفونى ؟ .

ــ فى الحادية عشرة او اقل قليلا . واذكر انه خرج بدراجته .

ومن باب المقهى المؤدى الى الدهليز ، خرج ليجريه ليرتقى الدرج الى الطابق الاول ، حيث طرق احد الابواب .

وانفرج الباب قليلا ، وظهرت فى فرجته ارنستين بملابسها الداخلية :

ــ اهو انت ؟ ! .

واسرعت لتكمل ملابسها ، وابتسم ميجريه كيما بينه وبين نفسه وكأنه يقول :

ـ اهذه دائما ارنستين كما تعودت أن تكون !.

وسمعها تصارحه بقولها :

ـ انه لعطف كبـير منك . ان زيارتك لى هى آخر ما كنت انتظره .

وكانت نافذة الحجرة مفتوحة على مصراعيها . ولاحظ أن اغطية الفراش من اللون الاحمر . ومن البـاب الصغير المؤدى للمطبخ وصلت الى انفه رائحة القهوة التى كانت تعدها لنفسها .

ولم يكن قد تحقق بعـد مما اتى به الى هذا المكان ودفعه لزيارتها .

ـ الم يصلك شيء عن طريق البريد بعد ؟.

فاجابت فى قلق :

ـ لا شيء .

ـ الا ترين فى هذا ما يدعو للعجب !.

ـ لعله لم يجـد الفرصة المواتية بعـد . ولعله يظن اننى موضوعة تحت المراقبة . ثم ان عدم كتابة شيء عن الحادث فى الصحف يزيد الامور تعقيدا فى نظره . لقد كنت فى طريقى الى مكتب البريد .

ورأى صندوقا قديما فى ركن من الغرفة . فأشار اليه قائلا :

ـ هل هذا من متعلقاته ؟ .

ـ انه لنا معا . فليس هناك ماله ومالى . اننا لا نملك الكثير وبنظرة ثاقبة قالت له :

ـ هل تريد تفتيش الصندوق ؟ هذا امر طبيعى فذلك من مستلزمات عملك كما اعرف . لن تجد غير بعض المعدات والادوات مما يحب الفريد ان يحتفظ به . كما ستجد بعض الثياب القديمة وقليلا من الملابس الداخلية .

وبينما كانت تقول ذلك ، كانت تلقى بمحتويات الصندوق على ارض الحجرة ، وتفتح ما وجد من ادراج فى الغرفة .

- لقد فكرت فى الامر مليا . وادركت ما كنت تعنيه بحديث الامس . وليس من شك فى ان هناك من لا يقول صدقا . فقد يكون المعنى بذلك الفريد ، او الام وابنها ، وقد اكون انا . ومن حقك الا تصدق احدا منا فيما يقول .

- الا يوجد لالفريد اقارب بالريف ؟ .

- انه لا يعرف اقارب له فى اى مكان . فهو لم يعرف حتى والدته التى توفيت منذ عشرين عاما .

- الم تذهبا معا الى اى مكان خارج باريس ؟.

- لم نذهب ابعد من كوربيل .

واستبعد ميجريه ان يختار الفريد «كوربيل» مكانا يلجأ اليه كما استبعد ذهابه الى بلجيكا فى الوقت نفسه .

- الم يتحدث امامك عن مكان معين كان يتوق لزيارته ؟ .

- كان يتحدث دائما عن الريف . عن الريف بصفة عامة ، ولم يخص منه مكانا معينا بالذات .

- وهل كنت من مواليد الريف ؟ .

- نعم . ولدت فى قرية تدعى سانت مارس دى بريه بالقرب من سيفيرس .

وفتحت احد الادراج واخرجت منه صورة فوتوغرافية لكنيسة القرية .

وهل سبق له ان راى هذه الصورة ؟.

وفهمت ما يعنيه بسؤاله هذا لانها كانت تمتاز بذهن لماح وادراك واع .. فقالت له

- انه لمما يبعث على الدهشة ان اجده هناك . فقد اتصل بى تليفونيا فى ذاك الصباح من مكان قريب من محطة الشمال فعلا .

ـ وكيف تأتى لك أن تتأكدى من ذلك ؟

ـ لأننى اهتديت الى المقهى الذى حدثنى منه .. وهو فى شارع دى موبيج بالقرب من حانوت لبيع المصنوعات الجلدية . ويطلق على هذا المقهى اسم «بار دى ليفانت» . وقد قابلت مالكه امس مساء ، وعلمت منه انه يذكر ذلك جيدا ، لأن الفريد كان أول من دخل المقهى فى ذاك اليوم . هل لك فى قدح من القهوة ؟

ولو لم يكن قد تناول كأسا من النبيذ الأبيض ، ما رفض هذا العرض . فاعتذر عن قبوله راجيا اعفاءه منه .

وخرج فى طريقه الى «بار دى ليفانت» ، مستقلا احدى سيارات الأجرة التى وجد صعوبة فى العثور عليها بمثل هذا الحى .

ـ انه رجل ضئيل الجسم ، تكسو وجهه مسحة من الحزن ، احمر العينين وكأنه قضى ليله كله باكيا .

بهذا وصفوه له .

ولم يعد هناك شك فى أن المقصود بذلك هو الفريد جوسيوم الذى يمتاز ، علاوة على ما يمتاز به ، باحمرار عينيه .

ـ ولقد قضى وقتا طويلا وهو يتحدث فى التليفون ، واحتسى قدحين من القهوة «السادة» ، ثم اتجه صوب المحطة وهو ينظر يمنة ويسرة وكأنما كان يخشى ان يتبعه احد . هل ينسب اليه خطأ ما ؟ .

وما ان وافت الساعة العاشرة صباحا ، حتى كان ميجريه يصعد فى الدرج بالادارة العامة فى طريقه الى مكتبه . وعلى خلاف عادته فى كل يوم ، لم يلق بنظرة على حجرة الانتظار ، بل تجاوزها الى مكتب ضباط النوبة «النوبتجية» حيث سأل عن جانفييه فقيل له :

ـ لقد حضر فى الثامنة ، ثم انصرف بعدها بقليل ، وترك لك مذكرة على مكتبك .

وهناك وجد المذكرة التالية :

« تدعى السيدة باسم ماريا فان آيرتس . وتبلغ من العمر ٥١ عاما . وهى من بلدة سنيك فى فرايزلاند بهولندا .. انا فى طريقى الآن الى نويللى حيث كانت تعيش فى أحد الفنادق بشارع لونجشامب ، ويقوم الزميل فاشير ، بجمع التحريات الخاصة بالمحطة .

وفتح جوزيف الحاجب ، الباب قائلا :

ـ لم انتبه لحضورك يا مسيو ميجريه . أن سيدة بانتظارك منذ نصف ساعة .

وقدم اليه طلب المقابلة ، الذى سطرت السيدة سيريه اسمها فيه ، بخط دقيق أنيق . وبينما كان ميجريه يتأمله مفكرا ، قطع عليه جوزيف حبل افكاره قائلا :

ـ هل ادعوها للدخول ؟ .

وقبل ان يجيب بشىء ، اتجه لفتح النافذة ، وملأ غليونه تبغا ثم جلس الى مكتبه قائلا :

ـ دعها تدخل .

وتساءل قبل أن تدخل ، عما قد تبدو به هذه السيدة خارج محيط منزلها . ودهش عندما وافاه الرد على تساؤله بدخولها مرتدية غير ما تخيلها به ، حيث خلعت عنها الثياب السوداء مستبدلة بها ثوبا ابيض بنقوش سوداء . وكانت تضع على رأسها قبعة متجانسة مع ثوبها . وتقدمت اليه بخطوات ثابتة تحكى ثقتها بنفسها .

ـ ما اظن الا انك كنت تتوقع قدومى اليك . أليس كذلك يا سيدى ؟ .

وفى الحق انه لم يكن يتوقع ذلك . الا انه فضل الا يصارحها بشىء .

ـ تفضلى بالجلوس يا سيدتى .

ـ شــكرا .

ـ لعل التدخين لا يضايقك ؟ .

ـ ان ابنى لا يقلع من تدخين الســيجار طوال اليوم . لقــد ضايقتنى الطريقة التى استقبلكما بها بالأمس . ! وحاولت جاهدة ان أشير اليك حتى لا تلح فى اسئلتك لأننى اعرفه على حقيقته .

وكانت هادئة متمالــكة لأعصابها . تنتقى كلمــاتها فى تؤدة وعناية . وهى تحرص على الابتسـام من وقت لآخر . ابتســامة كانت تحمل ما ارادت أن تعنيه بأنها فى صف ميجريه أكثر مما تكون فى صف ابنها .

ـ اننى المسئولة عن سوء خلقه . فقــد نشأته نشأة الطفل المدلل . حيث لم يكن لى من ولد غيره . لقد توفى زوجى وخلفه لى ولمــا بلغ سبعة عشر ربيعا . فاصبح جيللوم ، قبل الأوان ، رجل المنزل ...

وكان ميجريه فى اثناء حديثها ، يحاول أن يستشف مكنونات نفسها وحقيقة غرضها ، ولكنه لم يستطع الىذلك سبيلا ، فسالها قبل ان تستمر فى حديثها :

ـ هل ولدت فى باريس ؟ .

ـ فى نفس البيت الذى كنت فيه بالأمس .

ـ وزوجــك ؟ .

ـ كان والده محاميا فى شارع دىتوكفيل ، بالدائرة السابعة عشرة .

ـ وقد عشنا انا وولدى بمعزل عن غيرنا ، الأمر الذى جعل منه رجلا غير اجتماعى .

ـ لقد فهمت منك انه كان متزوجا من قبل .

ـ نعم . وقد توفيت زوجته فى سن مبكرة .

ـ بعد كم سنة من زواجهما كان ذلك ؟ .

وتحركت شفتاها لتتكلم ، ثم توقفت فجأة ، وكأن خاطرا قد تبادر الى ذهنها فعدلت مؤقتا عما كانت تريد قوله ، بل لقد لاحظ ان وجنتيها قد اصطبغتا بحمرة الخجل ، على قدر ما سمح به سنها . واخيرا قالت :

ـ بعد سنتين . ان الامر ليبدو غريبا . اليس كذلك ؟ لقد تبادر هذا الى ذهنى الآن .. لأن حياته مع ماريا دامت لعامين ايضا .

ـ ومن كانت زوجته الاولى ؟ .

ـ كانت من احسن الاسر ، وقد التقينا بها فى موسم الصيف فى دييب ، حيث كنا نقضى الصيف فى كل عام . وكانت تدعى جين ديفوازين .

ـ وهل كانت اصغر منه سنا؟ .

ـ كان ولدى فى الثانية والثلاثين . وكانت هى فى نفس هذه السن تقريبا . لقد كانت متزوجة من قبل .

ـ وهل رزقت باطفال من قبل ؟ .

ـ لا . واعتقد انه لم يكن لها اقارب ما . الا الاخت الوحيدة التى تقيم بالهند ـ الصينية .

ـ وما هو السبب فى وفاتها ؟ .

ـ ازمة قلبية . فقد كانت مريضة بالقلب ، وقضت معظم حياتها تحت رعاية الاطباء .

وعادت تبتسم مرة اخرى :

ـ اننى لم اطلعك بعد على سبب حضورى ، وقد فكرت فى الاتصال بك تليفونيا امس ، عندما خرج ولدى لجولته المسائية . الا اننى عدلت عن ذلك ورايت انه قد يكون من الاوفق ان احضر لمقابلتك .. وذلك لاعتذر عما بدر من جيللوم . ولاقرر لك ان ما فعله لم يكن مقصودا به شخصك . انه سيىء الخلق .. حاد الطباع .

ـ هذا ما لمسته بنفسى فعلا .

ـ لقد كان هذا حاله عندما كان صبيا صغيراً .

ـ لقد كذب فيما قاله لى . اليس كذلك ؟ .

ـ عفوا يا سيدى . ماذا ؟ .

واكتسى وجه السيدة بمسحة من الدهشة التى بدت حقيقية غير مصطنعة .

ـ وما هو الدافع لان يكذب ؟ . اننى لا افهم . انك لم توجه اليه اى اسئلة . وما دفعنى للحضور الا ذلك ، ولاضع نفسى تحت تصرفك فى اى سؤال ترغب فى توجيهه ، فليس لدينا ما نخفيه عنك . كما اننى لا يوجد عندى اية فكرة عن الظروف التى دعتك لتشغل نفسك بنا . فقد يكون هناك لبس فى الامور ، وقد يكون ذلك بناء على وشاية من الجيران .

ـ متى تحطم زجاج النافذة ؟ .

ـ لقد اخبرتك بذلك . ام لعل ولدى الذى اخبرك بذلك ؟ فلست متأكدة من هذا .. لقد تحطم الزجاج عند هبوب العاصفة فى الاسبوع الماضى ، وكنت حينئذ فى الطابق الثانى ، ولم اكن قد اغلقت جميع النوافذ حين هبت العاصفة فجاة ، فسمعت وانا فى مكانى صوت زجاج يتحطم .

ـ وهل كان ذلك فى وضح النهار ؟ .

ـ حوالى السادسة مساء .

ـ بمعنى ان المراة الخادم اوجينى ، كانت قد انصرفت بعد الانتهاء من عملها ؟ .

ـ انها تنصرف فى الخامسة مساء . واظن اننى سبق ان اوضحت لك هذا ايضا . اننى لم اخبر ولدى باننى قادمة لمقابلتك لاننى اعتقد انك قد تفضل زيارة المنزل مرة اخرى عندما لا يكون موجودا .

ـ اتعنين بذلك أن تكون الزيارة فى اثناء قيامه بجولته المسائية ؟ .

ـ نعم .. انك تفهم الآن انه لا يوجد لدينا ما نخفيه . ولو لم يتصرف جيللوم كما تصرف امس ، لتكشف لك كل شيء فى حينه .

ـ هل قدمت الى هنا يا سيدتى بمحض ارادتك ؟ .

ـ نعم .. وبدون أدنى شك .

ـ وانك انت وحدك من ترغبين فى أن اوجه لك ما اشاء من اسئلة ؟ .

فأومأت براسها بالايجاب تأكيداً لهذا .

ـ اذن فلنبدأ من تلك الساعة التى كنتم الثلاثة تتناولون طعامكم فيها معاً . سبق ان تحدثت بأن حقائب زوجة ابنك كانت معدة .. ففى اى مكان من المنزل كانت موضوعة .

ـ فى الردهة ..

ـ ومن قام بحملها الى الطابق الارضى ؟ .

ـ اوجينى قامت بنقلها كلها ، ماعدا الصندوق الذى قام ابنى بحمله ، لأنه كان اثقل من طاقة اوجينى .

ـ اهو كبير الى هذا الحد ؟ .

ـ نعم .. انك تعرف هذا النوع . لقد كانت ماريا قبل زواجها من هواة السفر والانتقال . لقد عاشت من قبل فى ايطاليا وفى مصر .

ـ وماذا اكلتم ؟ .

ويلوح انها شعرت بالسرور وبالدهشة معاً على اثر توجيهه هذا السؤال .

ـ لحظة حتى أستعيد ذلك ! . وسييسر لى الامر ، اننى اننا

التى اقوم باعداد الطعام .. شوربة خضار اولا ، لانها مفيدة للصحة . ثم لحم بالبطاطس .

ـ والحلوى ؟ .

ـ كاستارد بالشيكولاته . لان ولدي مغرم بها .

ـ وهل اثيرت اية مناقشة حول المائدة ؟ . ومتى انتهيتم من تناول الطعام ؟ .

حوالى السابعة والنصف . وبعدها اعدت الصحاف الى مكانها وصعدت الى الطابق الاعلى .

ـ وهكذا لم تحضرى رحيل زوجة ابنك .

ـ لقد رغبت عن ذلك . لان مثل هذه المواقف ، غالبا ما تكون مدعاة للألم . وارانى افضل دائما تجنب مثل هذه المواقف . لقد ودعتها فى حجرة الضيوف قبل ان اصعد للطابق العلوى . اننى لا احمل لها فى نفسى غير كل خير .

ـ واين كان ولدك فى اثناء ذلك ؟ .

ـ فى حجرة المكتب على ما اذكر .

ـ الم يدر بينه وبين زوجته قبل رحيلها حديث ما ؟ .

ـ لا اعتقد ذلك . لقد عادت الى حجرتها حيث سمعتها تستكمل تأهبها .

ـ ان بيتكم من تلك البيوت المتينة البنيان كمعظم المبانى القديمة . واظن انه ليس من اليسير ان يسمع المرء فى الطابق الثانى شيئا مما يقع فى الطابق الاسفل ؟ .

ـ ان هذا لا ينطبق على .

ـ ماذا تعنين بذلك ؟ .

ـ اعنى اننى اتمتع بسمع مرهف حاد . ولا يفوتنى ان اسمع الصوت المنبعث من الاخشاب تحت اقدام السائرين .

ـ ومن الذى توجه لاستحضار سيارة الأجرة ؟ .

ـ ماريا .. لقد قلت ذلك بالأمس .

ـ وهل مكثت فى الخارج فترة طويلة ؟ .

ـ نعم .. اذ من العسير ان تجد سيارة أجرة فى ناحيتنا . وما عليك الا ان تنتظر مرور احداها .

ـ هل شاهدت رحيلها من النافذة ؟ .

فترددت قليلا ثم اجابت :

ـ نعم ..

ـ ومن الذى حمل الصندوق من المنزل للسيارة ؟ .

ـ السائق .

ـ الا تذكرين شيئا عن الشركة التى تتبعها السيارة ؟ .

ـ وأنى لى ان اعرف هذا ؟ .

ـ ماذا كان لونها ؟ .

ـ بنى مع احمر .

ـ هل يمكن ان تتعرفى على السائق ؟ .

ـ الى حد ما .. لقد كان قصيرا بدينا فيما اذكر .

ـ وماذا كانت ترتدى من ثياب عند رحيلها ؟ .

ـ كانت ترتدى ثوبا بنفسجيا .

ـ الم تكن تضع معطفا ؟ .

ـ كانت تحمله على ذراعها .

ـ وهل كان ولدك بحجرة المكتب فى ذلك الوقت ؟ .

ـ نعم ..

ـ وما الذى حدث على وجه التحديد ؟ . هل صدت الى الطابق الأول ؟ .

ـ لا ..

ـ الم تتوجهى الى حيث كان ولدك ؟ .

ـ كان هو الذى حضر الى .

ـ مباشرة ؟ .

ـ لم يكن ذلك بعد انصراف السيارة بكثير .

ـ هل كان متجهما ؟ .

ـ كان كما رايته بالامس . انه هكذا دائما . وكما سبق أن قلت لك ، فهو رجل شديد الحساسية متوتر الاعصاب تثيره اقل الاحداث شانا .

ـ وهل كان يعلم ان زوجته لن تعود اليه ؟ .

ـ كان يشك فى ذلك .

ـ وهل اشارت الى شىء من هذا القبيل ؟ .

ـ ليس هكذا تماما . لقد لاحظنا بعض التلميحات فى حديثها من حين لآخر .. فقد تحدثت من حين لآخر عن ضرورة تغيير آرائها بشأن زيارة بلادها مرة اخرى .. فما أن تضع قدمها هناك حتى ...

ـ وماذا فعلت بعد ذلك ؟ .

ـ قمت بتصفيف شعرى استعدادا لفترة الليل .

ـ وهل كان ابنك معك فى غرفتك ؟ .

ـ نعم ..

ـ الم يترك المنزل بعد ذلك ؟ .

ـ نعم .. لم يتركه .. وما هو الداعى ؟ .

ـ وأين يقع « جاراج » سيارته ؟ .

ـ على بعد مائة ياردة ، حيث حولت بعض الاصطبلات القديمة الى جاراجات ، قام جيللوم باستئجار احداها .

ـ اذن فمن الممكن أن يخرج بسيارته وان يعود بها دون أن يراه احد ؟ .

ـ وما الذى يدعوه لمثل ذلك ؟ .

ـ وهل عاد الى الطابق الارضى مرة اخرى ؟ .

لست ادرى .. واظنه فعل ذلك . اننى آوى الى فراشى مبكره .. اما هو فيقرأ حتى الحادية عشرة او منتصف الليل .

ـ فى حجرة المكتب ؟ .

ـ أو فى غرفة نومه .

ـ وهل تقع بالقرب من غرفة نومك ؟ .

ـ ان غرفته بجوار غرفتى مباشرة ، ويوجد بينهما حمام مشترك .

ـ وهل شعرت به وهو يأوى الى فراشه ؟ .

ـ بكل تأكيد .

ـ ومتى كان ذلك ؟ .

ـ لم اتحقق من هذا .

ـ الم يصل الى سمعك شىء بعد ذلك ؟ .

ـ نعم .. لم يصل مطلقا .

ـ اظن انك اول من يهبط الى الطابق الارضى فى الصباح ؟ .

ـ من عادتى أن أهبط فى السادسة والنصف عندما يحل فصل الصيف .

ـ وهل تطوفين بجميع غرف المنزل ؟ .

ـ توجهت اولا الى المطبخ حيث وضعت قليلا من الماء ليغلى ؛ ثم قمت بفتح النوافذ لينفذ منها الهواء المنعش البارد الى المنزل .

ـ وهل دخلت حجرة المكتب ؟ .

ـ يحتمل .

ـ الا تذكرين على وجه التحديد ؟ .

ـ يغلب على ظنى اننى قمت بذلك .

ـ وهل كان الزجاج المحطم قد تم اصلاحه حينئذ ؟ .

ـ اظن ذلك .. نعم ..

ـ الم تلاحظى اى شيء غير طبيعى فى نظام الغرفة ؟ . او لم يسترع نظرك شيء من هذا القبيل ؟ .

ـ لا شيء من ذلك مطلقا . لم يكن هناك الا بعض بقايا لفافات التبغ ، وبعض الكتب الموضوعة هنا وهناك كما هى العادة . مسيو ميجريه ، اننى لم افهم حتى هذه اللحظة ما يعنيه كل ذلك . ولقد رايت اننى اجيب عن اسئلتك بكل صراحة ؛ لأننى قدمت الى هنا من أجل ذلك فقط ..

ـ لقد حضرت لان القلق كان يستبد بك ؟ .

ـ لا .. لقد حضرت لاننى خجلت من سلوك جيللوم معك أولا ؛ ولاننى شعرت بأن زيارتك كانت تخفى سرا غير ما عللتها به . ان النساء لسن كالرجال بحال ما . فعندما كان زوجى معى ، مثلا ؛ وكنا نسمع اى صوت بالمنزل ليلا ، لم يكن ليتحرك من فراشه ؛ وكنت انا انهض لأرى ماذا هناك . هل تدرك ما اعنى ؟ . ولعل هذا هو الحال معك ومع زوجتك ! . ومدفوعة بمثل هذا الشعور حضرت .. لقد كنت تتكلم عن حادث السطو . ولكنك كنت معنيا بموضوع ماريا اصلا .

ـ الم تصلكم أنباء عنها ؟ .

ـ ما كنت لاترقب شيئا من هذا القبيل . انك تخفى بعض الحقائق ، وهذا ما يجعلنى أتحرق شوقا لمعرفتها . تماما كما هو الحال بالنسبة لتلك الأصوات التى تسمعها فى الليل . فهى لم تعد تتحمل هذا الغموض الذى يحيطونها به . انها اصوات حسية تبدو فى غاية البساطة فى نهاية الأمر اذا ما كلفنا انفسنا عناء الكشف عنها واستجلاء غوامضها .

وراحت تتأمله تأمل الواثقة بنفسها ، التى تعرف تماما أين تضع قدميها . وانتاب ميجريه شعور بانها لا ترى فيه اكثر من

طفل ، وانه لم يعد امامها باكثر من جيللوم آخر . وخيل اليه انها تقول له بهذه النظرات :

ـ خبرني بكل ما يعتمل في نفسك من قلق ولا تخش جانبي . فان فعلت ذلك ، فسترى ان الأمور ستتكشف وينجلي امرها .

وقام بدوره ، بتثبيت عينيه على وجهها ، قبل ان يلقي بقنبلته قائلا :

ـ لقد اقتحم رجل منزلكم في تلك الليلة .

وما ان سمعت ذلك منه ، حتى حملقت في وجهه غير مصدقة ، ومشفقة عليه في الوقت نفسه ، وكأنه بقوله هذا أصبح في نظرها احد المؤمنين بالخرافات .

ـ لأي سبب ؟ .

ـ ليسرق ما في الخزانة .

ـ وهل تم له ذلك ؟ .

ـ لقد دخل المنزل بعد تحطيمه لزجاج احدى النوافذ .

ـ زجاج النافذة الذي تحطم في اثناء العاصفة ؟ . لابد انه اعاد تركيبه بعد ذلك ؟ .

ـ ولاحظ انها ما زالت مصرة على الا تحمل ما يقول على محمل الجد ..

ـ وماذا اخذ معه ؟ .

ـ انه لم يتمكن من سرقة ما كان يبغي لأن ضوء مصباحه قد كشف له عن شيء لم يكن ليتوقع ان يجده في تلك الغرفة .

ولم تترك ابتسامتها .

ـ وما هو هذا الشيء ؟ .

ـ جثة امرأة متوسطة العمر .. ويرجح ان تكون جثة زوجة ابنك .

ـ وهل هو الذى اخبرك بذلك ؟ »
وتامل اليدين الثابتتين فى قفازهما الأبيض ولم يعقب »
ـ ولمـاذا لا تطلب من هذا الرجل أن يحضر بنفسه ويواجهنى بما يدعيه ؟ »

ـ لانه ليس فى باريس فى الوقت الحاضر »
ـ الا يمكنك أن تعمل على حضوره هنا ؟ »

وفضل ميجريه الا يعقب بشىء ، لانه لم يكن راضيا عن نفسه وبدا يتساءل عما اذا كان لم يتاثر بعد بسحر هذه المراة ، التى كانت اقرب ما تكون جلالا وقدسية من الأم الكبرى .

وظلت فى مقعدها ثابتة كالطود لم تتحـرك ولم تبدر منها خالجة .

ـ لا زلت هائمة فى بيداء جهلى بكل ما يعنيه ذلك . ولن الح عليك باسئلتى . ولعل عندك من الاسباب ما يحملك على تصديق هذا الرجل فيما يقول . انه من اللصوص . اليس كذلك ؟ . أما أنا فامراة قد بلغت من العمر ثمانية وسبعين عاما دون أن تلمس احدا بضرر ما .

ـ اما وقد وصلنا الى ما وصلنا اليه ، فلتسمح لى ، بأن أدعوك من كل قلبى لتشريف منـزلنا ، حيث سـأفتح لك كل باب على مصراعيه ، وساطلعك على كل ما تـريد الاطـلاع عليه . وأما عن ولدى ، فبمجرد ان يعلم بكل هذه الوقائع ، فلن يتاخر مطلقـا عن اجابتك عن اى سؤال توجهه اليه .

ـ مسيو ميجريه ، متى ستحضر ؟ »
وعندئذ نهضت من مقعدها ، ووقفت أمامه ، وكما كانت طوال فترة جلوسها ، لم يتغير من حالها شىء ، اللهم الا لمسة خفيفة من الشعور بالمرارة .

ـ قد يكون ذلك بعد الظهر . فلست متاكدا بعد . هل استعمل ولدك سيارته خلال الايام القليلة الماضية ؟ »

ـ يمكنك ان تسأله عن ذلك اذا اردت .
وهل هو بالمنزل الآن ؟ .
ـ ربما .. لقد تركته بالمنزل عندما خرجت .
ـ واوجينى ايضا ؟ .
ـ لابد انها لم تزل هناك .
ـ شكرا ..

وصحبها حتى الباب . وما ان وصلا اليه حتى استدارت قائلة فى دعة :

ـ لى عندك رجاء .. لست اطلب منك الا ان تضع نفسك فى مكانى ، بعد ذهابى ، وتنسى فترة ما ، انك قضيت حياتك تعالج الجريمة ، وتصور لنفسك انك تواجه هذا الاتهام الذى واجهتنى به ، الاتهام بارتكاب جريمة قتل فى هدوء عمدا .

وبذلك انتهت محادثات هذه الجلسة ، ولم تتجاوز قولها اخيرا !
ـ الى ما بعد ظهر اليوم ، يا مسيو ميجريه .

وما ان اغلق الباب خلفها ، حتى وقف فى مكانه لا يتحرك دقيقة . ثم اتجه الى النافذة يطل منها ، فوقع بصره على السيدة ، وهى تسرع بخطواتها تحت اشعة الشمس ، متجهة الى جسر سانت ميشيل .

ورفع سماعة التليفون قائلا :

ـ اريد الاتصال بمركز الشرطة فى نوييللى .
ولم يطلب الاتصال بالضابط المختص ، بل طلب رقيبا كان يعرفه .

ـ ألو ؟ . انا ميجريه .. شكرا .. بخير . انتبه لما انا قائل لانه امر دقيق جدا .. استقل احدى السيارات فورا وقم الى المنزل ٤٣ ب بشارع دى لانيرم .
ـ منزل طبيب الأسنان ؟ . لقد حدثنى عنه چانفييه امس مساء . بشأن السيدة الهولندية !. اليس كذلك ؟.

ـ لا عليك من ذلك الآن . فالوقت ضيق . ان الرجل ليس ممن يسهل التعامل معه ، لأنه صعب المراس . ولا استطيع أن أستصدر أمرا بالقبض عليه فى الوقت الحاضر . وعليك أن تتصرف بسرعة ، قبل أن تعود والدته الى المنزل .

وهل هى فى مكان بعيد ؟ .

ـ انها الآن عند جسر سانت ميشيل . واعتقد انها ستستقل احدى السيارات .

ـ وماذا أنا فاعل بالرجل ؟.

ـ اصطحبه معك الى المركز . واختلق اى سبب لذلك . قل له انه مطلوب لسماع شهادته .. اى شيء .

ـ وبعد ذلك ؟ .

ـ وبعد ذلك ساكون موجودا . ولن يستغرق منى هذا اكثر من مسافة الطريق .

ـ فاذا ما فرضنا ان الطبيب غير موجود بالمنزل ؟ .

ـ تراقب المنزل ولا تدعه يدخل اليه بحال ما .

ـ تصرف لا ينطبق على التعليمات . أليس كذلك ؟ .

ـ للغاية ! .

وعندما كان فانو يهم باعادة السماعة الى مكانها اضاف ميجريه :

ـ اصطحب معك أحدا من زملائك وكلفه مراقبة الاصطبلات التى حولت الى « جاراجات » فى نفس الشارع . لأن الطبيب يستأجر أحد هذه « الجاراجات » .

ـ فليكن .

وبعد قليل ، كان ميجريه يهبط من الدرج مسرعا فى طريقه الى احدى سيارات الشرطة التى استقلها ليلحق بفانو فى الوقت المناسب . وعند ما كان ينعطف بالسيارة فى اتجاه جسر نيف ؛ تخيل اليه انه لمح قبعة ارنستين الخضراء . ورأى ان يتابع سيره

حتى لا يضيع وقتا . وشعر في هذا الوقت بالذات ؟ بحقيقة ان نفسه ضد لوفتي .

وعاد بعد ان انتهى من عبور جسر نيف ، يراجع نفسه فيما صدر عنه ويندم على ما كان منه ، وكان ذلك بعد فوات الاوان . فليس في الامكان تدارك الأمر ! وما عليها الا ان تنتظر عودته.

## الفصــــل الرابع

يقع مركز الشرطة في الطابق الأرضي بمبنى البلدية . وهو من تلك المباني القديمة ، المقامة على ارض فضاء تحوطها اشجار متقاربة باسقه . وكان المفروض أن يتجه ميجريه مباشرة الى مكتب الضابط المنوب . ولكنه آثر ان يسلك طريقا خلفيا ، حتى لا يجد نفسه وجها لوجه أمام جيللوم‌سيريه ، قبل ان يرتب اموره

وبعد ان جاس خلال مختلف الدهاليز ، التقى باحــــد رجال الشرطة ممن يعرفونه . فسأله ميجريه مستفسرا !

- اين اجد الرقيب فانو ؟ .

- الباب الثالث في الممشى الثاني على اليســـار .

- هل لك ان تذهب في استدعائه ؟ انه لن يكون بمفرده . احرص على عدم التفوه باسمي بصوت مرتفع .

وما هي الا فترة قصيرة ، حتى وافاه فانو مسرعا .

- هل حضر معك ؟ .

- نعم .

- وكيف تصرفت في الامر ؟ .

- حرصت على ان اذهب مزودا بطلب حضــور .

- وكيف ســـارت الامور ! .

- بين بين .. فبمجرد ان فتحت الخادم الباب ، طلبت منها أن تخطر سيدها ، وانتظرت قليلا بالردهة قبل ان يحضر لمقابلتي .

ثم سلمته طلب الحضور ، الذى القى عليه نظرة ، دون أن يعقب بشيء .

ـ اذا وافقت ، عدنا معا بالسيارة التى حضرت بها .

ـ فرفع كتفيه ، دون ان ينطق بشيء . ثم وضع قبعته على راسه وتبعنى خارجا .

ـ وهو يجلس الآن فى غرفة مكتبى ، ولم يزل على حاله لا ينطق بكلمة واحدة .

وبعد دقيقة او دقيقتين ، كان ميجريه فى غرفة ڤانو ، حيث وجد سيريه جالسا يدخن سيجارا كبيرا . واتجه كبير المفتشين عند دخوله فورا الى مقعد ڤانو ، حيث جلس الى مكتبه قائلا :

ـ يؤسفنى ان اتسبب فى ازعاجك يا مسيو سيريه . الا ان الأمر يستلزم ايضاح بعض النقط الهامة .

وكما حدث فى اليوم السابق ، حدج الطبيب المفتش بنظرة فاحصة ، كانت ابعد ما تكون عن التفاهم والود . وتبادر الى ذهن ميجريه فجاة ، ان هذا الرجل يذكره بهذا الطراز من السلاطين ، الذين كان يرى صورهم فى وقت من الاوقات . فقد كان ضخم الجثة ، قوى العضلات ، يوحى لمن يراه ايضا بهذا الطراز الآخر من الاثرياء ، فى صورتهم المتعالية المطبوعة على غلاف صناديق السجائر .

وبدلا من أن يومىء موافقا ، أو أن يتمتم معترضا على الاقل ، أخرج سيريه من جيبه طلب الحضور ، والقى نظرة عليه قائلا :

ـ لقد استدعيت للحضور بطلب من رئيس شرطة نويللى ، وتجدنى فى انتظار سماع ما يريده هذا الرئيس منى .

ـ هل افهم من ذلك انك ترفض الاجابة من اسئلتى ؟ ـ

ـ بكل تاكيد ..

وران الصمت على الجميع وحار ميجريه فى امر هذا الرجل .

لقد سبق له ان قابلَ كلّ طرازٌ من الرجالٌ . قابلَ منهم الشاكى المشاكس ، والصلب العنيد . وقابل منهم المتفاهم الصريح ، والماكر المخادع ، ولكنه لم يسبق له مطلقا ان قابل مثل هذا الطراز الجاهل غير المهذب .

ـ اظن انه لا جدوى من المناقشة ؟ .

ـ اعتقد ذلك .

ـ حتى ولو حاولت أن اوضح لك ، ان موقفك هذا ليس فى مصلحتك ؟ .

ولم يجب الطبيب بشىء .

وعندئذ قال له ميجريه :

ـ حسنا .. فلننتظر حتى تقابلَ رئيس الشرطة .

ونهض ميجريه فى طلب الاخير ، الذى لم يفهم بسهولة ما كان مطلوبا منه ، واضطر اخيرا ان يقبل القيام بما رسم له . وكانت غرفته احسن حالا من سائر الغرف الموجودة بالمركز ، حيث توفرت فيها سبل الراحة والدعة . واصدر أمره للمراسلة الواقف ببابه قائلا

ـ فليدخل مسيو سيريه ! .

فلما دخل اشار له رئيس الشرطة الى مقعد من المخمل الاحمر .

تفضل بالجلوس يا مسيو سيريه . انها مسالة روتين فقط ، ولن تستغرق هذه الاجراءات الكثير من وقتك .

وبعد ان راجع رئيس الشرطة بعض الاوراق التى قدمت اليه سال طبيب الاسنان قائلا :

ـ انك تملك سيارة ، كما ارىَ ، مسجلة تحت رقم د من ٨٨٢٤ ل ؟ .

فاوما الطبيب براسه موافقا . اما ميجريه فكان قد اتخذ له

مقعدا بجوار النافذة ؛ حيث يمكنــه أن يراقب مـــيجريه فى كل حركاته .

ـ وهل لازلت مالكا لهذه السيارة ؟ .

فاوما برأسه مرة أخرى موافقا .

ـ متى استعملتها آخر مرة ؟ .

ـ اظن انه من حقى ان اعرف السبب الداعى لهذا الاستجواب.

فتحرك رئيس الشرطة فى مقعده متململا .. اذ انه لم يكن راضيا من مبدأ الأمر عن هذه المهمة التى كلفه ميجريه اداءها .

ـ فلنفترض ان سيارتك قد تسبب اليها حادث ما ...

ـ هل حدث ذلك فعلا ؟ .

ـ ولنقل اننا ابلغنا برقم سيارتك على انها صدمت احدا ما ؟ .

ـ متى كان ذلك ؟ .

وهنا اتجه رئيس الشرطة بنظراته الى ميجريه معاتبا للموقف الذى زج به فيه .

ـ يوم الثلاثاء مساء .

ـ وأين كان ذلك ؟ .

ـ بالقرب من نهر السين .

ـ ان سيارتى لم تتحرك من « الجاراج » مساء الثلاثاء .

ـ قد يكون غيرك استعملها دون علمك .

ـ اشك فى ذلك ، لأن « الجاراج » مغلق بالمفتاح .

ـ هل أنت على استعداد لان تقسم بانك لم تستعمل سيارتك يوم الثلاثاء مساء او ليلا ؟ .

ـ واين شهود الحادث ؟ .

ومرة اخرى اتجه رئيس الشرطة بنظراته الى ميجريه ؟ وكان فى هذه المرة مستنجدا . ولما كان الأخير قد ادرك انه لا جدوى

من ذلك ، اشار له بما يعنى حتى لا يستمر فى استجوابه .
ـ ليس لدى اسئلة اخرى يا مسيو سيريه .. شكرا .

وقام الطبيب من مقعده ، ثم وضع قبعته على راسه ، وترك الغرفة بعد ان حدج ميجريه بنظرة فاحصة كلها تحد .

ـ لقد قمت بكل ما استطيع القيام به كما رايت .
ـ فعلا ..

ـ هل استفدت بشىء من هذا الاستجواب ؟ .
ـ قد يكون ذلك .

ـ ان هذا الرجل سيثير المتاعب .. لانه يتمسك بحقوقه كل التمسك .

ـ اعرف هذا .

وبدا للجميع ان ميجريه يكاد يحاكى الطبيب فى حركاته دون ان يدرى . فبدا جامدا غامضا ثقيل الظل . واتجه بدوره صوب الباب .

ماذا تنسبون الى هذا الرجل يا ميجريه ؟ .
ـ لست متاكدا بعد . ربما يكون قد قتل زوجته .

وشكر لفانو ما قام به ، وخرج الى حيث كانت سيارة الشرطة فى انتظاره . وقبل ان يستقلها اتجه الى المقهى الموجود على الناصية ليشرب شيئا ينعشه . وتامل صورته فى المرآة وتساءل فيما بينه وبين نفسه ، كيف يبدو اذا ما وضع على راسه قبعة كتلك التى كان يضعها الطبيب فوق راسه . وابتسم لما جال بخاطره من ان الصراع فى هذه القضية صراع بين اثنين من الوزن الثقيل .

وعندما اصبح فى السيارة قال للسائق :
مد بنا عن طريق شارع دى لافيرم .

وعلى مقربة من رقم ٤٣ ب ، شاهدا سيريه يسير بخطوات

واسعة وسيجاره فى يده . وعندما مر امام الجاراج لم يفته ان يلاحظ وجود الشرطى الذى كان واقفا يراقب المكان بملابسه المدنية .

ورأى ميجريه انه لا حاجة به للوقوف أمام الباب الحديدى الكبير . فماذا سيعود عليه من ذلك ؟ فقد لا يسمح له بالدخول ! .

ولما عاد للادارة ، وجد ارنستين تنتظره على احر من الجمر فاذن لها بالدخول الى مكتبه . وما ان دخلت حتى سألته :

ـ ما هى اخبارك ؟ .

ـ لا جديد .

وكان حانقا متوتر الاعصاب ، مع انها لم تعمد فيه ذلك ، لأنها لم تكن تعرف أن هذا هو شأنه عندما تصادفه قضية شديدة التعقيد متعثرة فى أولى خطواتها .

ـ وصلتنى بطاقة بريد هذا الصباح . وقد احضرتها اليك .

وقدمت اليه بطاقة ملونة تحمل صورة فوتوغرافية لبلدية مدينة الهافر . ولم يكن مسطرا بها شىء غير عنوان لوفتى بشباك البريد فقط .

ـ من الفريد ؟ .

ـ العنوان بخط يده .

ـ اذن فلم يذهب الى بلجيكا ؟ .

ـ هذا ما يبدو . ولعله الآن خارج الحدود .

ـ هل تظنين انه سيهرب عن طريق البحر ؟ .

ـ استبعد ذلك .. اذ لم يسبق له ان وضع قدمه على سفينة ما ... مسيو ميجريه . بودى لو أوجه لك سؤالا . غير اننى اريد اجابة صريحة منك . اذا ما حدث فرضا انه عاد الى باريس ، فما هى الاجراءات التى تتبع معه ؟ .

ـ بمعنى هل سيلقى القبض عليه أم لا ؟ .

ـ تماما .

ـ بتهمة الشروع فى السرقة ؟ »

ـ نعم ..

اذن فلتعلمى انه ما من احد يستطيع أن يفعلّ ذلكَ . لانه لم يضبط متلبسا . علاوة على ان رجيللوم سيريه ، وهو المجنى عليه ، لم يتقدم بشكوى عن حادث السطو على منزله ، بل هو ينكر ذلك بتاتا .

ـ معنى ذلك انكم ستتركونه وشانه ؟ »

ـ هذا اذا لم يكن كاذبا فيما اخبرك به »

ـ هل اعده بذلك بناء على كلمتك ؟ »

ـ نعم ..

فى هذه الحالة ساقوم بنشر نبذة فى باب الاعلانات الشخصية بالصحيفة التى اعرف انه يداوم على قراءتها .

وبعد ان حدجته بنظرة قاسية قالت له :

ـ يلوح لى انك لم تتقدم خطوة .

ـ لم اتقدم فى اية ناحية ؟ .

ـ فى القضية .. هل قابلت الطبيب ؟ »

ـ من نصف ساعة .

ـ وماذا قال لك ؟ »

ـ لا شىء ..

ولم يكن لديها ما تقوله بعد ذلك . وانتهـزت فرصـة رنين التليفون فقامت مستاذنة فى الانصراف .

وبعد أن تركت الغرفة ، تناول ميجريه السماعة مزمجرا !

ـ ماذا هناك ؟ .

ـ انه انا يا سيدى الرئيس .. هل تسمح لى بمقابلتك الآن ؟ »

وما هى الا ثوان ، حتى اقبل جانفييه على رئيسه مسرعا ، وقد بدا عليه انه راض من نفسه كل الرضا .

ـ لقد وصلت الى اشياء كثيرة .. هل لديك متسع من الوقت لعرضها ؟ ».

وهبط حماسه بدافع من تصرف ميجـــريه ، الذى نهض فى هدوء ليخلع « جاكتته » ثم عاد الى معقده ليحل رباط عنقه دون ان يتفوه بكلمة واحدة .

ـ اولا .. قصدت الفندق الذى سبق ان اشرت اليه فى حديثى . ووجدته من الفنادق الصغيرة الواقعة على الضفة اليسرى . ولم يزد عدد نزلائه على الخمسين ، معظمهم من الأجانب
ـ وهم خليط من الانجليز والسويسريين والامريكيين ـ وغالبيتهم من السيدات كبار السن اللاتى يهوين المتاحف وكتابة الخطابات المطولة .

ـ حسنا ؟ ».
ولم يجد ميجريه ما يدعو لكل هذه التفاصيل .

ـ وقد نزلت ماريا فان ايرتس بهذا الفندق مدة عام . وهم يذكرون عنها كل شيء ، لانها كانت محبوبة مقربة الى قلوبهم ... ويقولون عنها انها كانت مرحة تكثر من الضحك ومن تناول الفطائر ، كما انها كانت تواظب على حضور جميع المحاضرات التى تلقى بالسوربون .

ـ وهل هذا كل ما هنالك ؟ .
قالها ميجريه بلهجة تعنى انه لا يرى فى كل ما سمعه ما يدعو او يتفق مع الحالة التى بدا بها جانفييه .

وكان من عادتها ان تكتب فى كل يوم تقريبا خطابات تتراوح صفحاتها بين ثمانية وعشرة اوجه .

فرفع كبير المفتشين كتفيه ، وهو يحدج جانفييه بنظرة مستقرة ، ادرك الاخير معناها .

وكانت هذه الرسائل لسيدة واحدة . صديقة لها من ايام الدراسة تعيش فى امستردام ، تمكنت من معرفة اسمها . وجاءت

هذه الصديقة لزيارتها مرة واحدة ، حيث اقامت معها فى غرفتها مدة ثلاثة اسابيع . واعتقد ان ماريا بعد زواجها لم تقلع عن عادة الكتابة اليها . اما هذه الصديقة فتدعى جرترود اوستنج ؟ وهى متزوجة من احد اصحاب مصانع البيرة . ولن يصعب علينا الاهتداء الى عنوانها .

ـ اتصل بامستردام .

ـ هل ستطلب الاطلاع على هذه الرسائل ؟ ..

ـ الاخيرة منها ان امكن .

ـ لقد فكرت فى ذلك فعلا . الم ترد انباء من بروكسل عن فريدى الحزين ؟ .

ـ ان فريدى فى مدينة الهافر ..

ـ هل اتصل بالهافر ؟ .

ـ ساتولى بنفسى ذلك . من هو الخالى من الخدمة اليوم ؟ .

ـ تورينس عاد هذا الصباح .

ـ ابعث به الى ..

واقبل عليه رجل من الوزن الثقيل ، ممن لا يتيسر لهم الاختفاء فى اى شارع مهما كان مزدحما بالمارة ، وممن يسترعون انظار الناس فى اى مكان يحلون به .

ـ عليك بالتوجه فورا الى ناحية نويللى لمراقبة المنزل رقم ٤٣ ب بشارع دى لافيرم . ولهذا المنزل باب حديدى كبير . ولتكن فى مكان ظاهر لا يخفيك عن الاعين . فاذا ما شاهدت رجلا يزيد عليك حجما وطولا فما عليك الا ان تتبعه بشرط الا يراك .

ـ هل من اوامر اخرى ؟ .

ـ لا مانع من ان تخلى نفسك من الخدمة طرفا من الليل .. فهناك احد زملائك من شرطة نويللى معين لمراقبة « الجاراج » القريب من المنزل ويمكنه ان يقوم بذلك فى اثناء راحتك .

ـ وماذا افعل اذا خرج الرجل مستقلا سيارة ما ؟ .

ـ خذ معك احدى سياراتنا ، واحرص على أن تكون قريبة منك .

وكان الجو اشد حرارة من جو اليوم السابق . فلم يشعر ميجريه برغبة فى الذهاب الى منزله لتناول طعام الغداء . وفضل أن يعرج فى طريقه الى القسم الفنى بقصر العدالة ، على بار دوفين ليتناول كاسين من البرنو .. وبعد أن قابل مويرز رئيس القسم الفنى ، دار بينهما الحديث الآتى :

ـ ليكن ذلك حوالى الساعة الحادية عشرة . ولتحضر معك كل ما يلزم . واصطحب معك أحد زملائك .

ـ مفهوم يا سيدى المفتش .

وكان ميجريه قد اتصل بشرطة الهافر . فليس ما يمنع أن يكون فريدى الحزين قد استقل قطارا من محطة الشمال الى « ليل » مثلا . كما لا يوجد ما يمنع من انه بعد ان اتصل تليفونيا بارنستين ، قد اتجه الى محطة سانت لازار ؟ .

ولعله قد نزل بأحد الفنادق المتواضعة ، او قضى وقته متنقلا من بار الى بار ليشرب مياه فيشى ما دام لم يتعود ان يحتسى الخمر . او لعله يحاول ان يلوذ باحدى السفن لتنقله بعيدا . ترى هل بلغت شدة الحرارة بالهافر مبلغها فى باريس ؟ .

وها هم اولاء لم يتيسر لهم بعد ، أن يهتدوا الى سيارة الاجرة التى استقلتها ماريا سيريه ونقلت بها حقائبها الى المحطة . كما أن عمال هذه المحطة وموظفيها لا يذكرون شيئا عنها .

وعندما كان يتصفح جرائد المساء ، قرا ميجريه رسالة ارنستين الموجهة لزوجها فى باب الاعلانات الشخصية :

الفريد . عد الى باريس . ليس من خطر يهددك .

لقد سويت الامور . تينى

وراح فى اغفاءة لم يستيقظ منها الا فى الساعة الرابعة والنصف ، عندما وجد نفسه فى مقعده والصحيفة موضوعة على

وكبتيه . وادرك انه بعد ان قرأ هذا الاعلان قد استسلم للنوم ،
وشعر بمرارة فى فمه وبآلام فى ظهره . فنهض تاركا غرفة مكتبه
الى ساحة الادارة ، حيث لم يجد اية سيارة من سيارات الشرطة ؛
ولم يجد بدا من أن يستقل احدى سيارات الأجرة من ناصية
الشارع .

ـ شارع دى لافيرم فى نويللى . وعندما تصل سادلك على
المكان ؟.

وكاد يغفو مرة اخرى وهو فى السيارة ، التى وقفت به عند
المقهى ؛ الذى سبق له التردد عليه ، وكانت الساعة قد بلغت
الخامسة . ولم يجد احدا جالسا بشرفة المقهى . ولاحظ وقوف
لوريتس على مسافة قريبة . فدفع للسائق أجره ، ثم احتل مقعدا
بالشرفة .

ـ ماذا يمكن ان أقدمه لك يا مسيو ميجريه ؟.

وهل هناك شيء غير قدح من البيرة ! . ان العطش بلغ به مبلغا
يخيل اليه معه انه يستطيع أن يبتلع خمسة أو ستة اقداح دفعة
واحدة !!

ـ هل جاء الى هنا مرة اخرى ؟.

ـ طبيب الأسنان ؟ لا لقد رايت والدته صباح اليوم وهى فى
طريقها الى شارع ريتشارد والاس .

وعندما سمع صرير الباب الحديدى ، نظر فراى امراة نحيفة
الجسم قصيرة القامة ، تخرج متجهة فى سيرها فى الناحية المقابلة،
فأسرع ميجريه ليلحق بها عند طرف غابة بولونى .

ـ مدام اوجينى ؟.

ـ ماذا تريد منى ؟.

ـ حديثا قصيرا .

ـ ان وقتى لا يسمح بذلك . ان امامى عملا كثيرا فى منزلى .

ـ أنا ضابط من ضباط الشرطة .

ـ هذا لا يغير من الأمر شيئا .

ـ احب ان أوجه اليك بعض الاسئلة .
ـ وهل انا مضطرة لان اجيبك منها ؟.
ـ قد يكون هذا افضل .
ـ لست احب رجال الشرطة .
ـ لا يمكن ان نرغمك على ذلك . هل تحبين من تعملين عندهم ؟
ـ ان النفس تعافهم .
ـ بما فى ذلك مدام سيريه ايضا ؟.
ـ انها حيوان قذر .

وهنا مرت بهم احدى سيارات الأجرة . فاستوقفها ميجريه قائلا :

ـ ساصطحبك الى منزلك .

ـ انه لا يعنينى فى كثير او فى قليل ان يشاهدنى الناس وانا فى صحبة احد رجال الشرطة .

ثم خطت الى السيارة بخطوات متئدة متعالية .
ـ لماذا تحقدين عليهم ؟.
ـ وماذا عنك ؟. انت الذى تتداخل فى شئونهم ؟.
ـ هل رحلت السيدة سيريه الصغيرة ؟.
ـ الصغيرة ؟. نطقت بها فى لهجة تهكمية لاذعة .
ـ اذن فلنقل انها زوجة الابن .
ـ نعم . لقد رحلت . ولقد سررت لخلاصنا منها .
ـ وهل كانت هى الاخرى حيوانا قذرا .
ـ لا . .
ـ هل كنت تكرهينها ؟.
ـ كانت نهمة جشعة .
ـ ومتى رحلت ؟.
ـ يوم الثلاثاء .

وفى طريقهم عبر جسر بوتو ، طرقت أوجينى الزجاج باصابعها قائلة :

ـ هنا . هل تريد منى شيئا آخر ؟.

ـ هل تسمحين لى بلحظة اخرى فى منزلك ؟.

وتركا السيارة . واجتازا فى طريقهما الى المنزل ميدانا مزدحما ثم اتجها يمينا الى الدرج المؤدى الى مسكن أوجينى .

ـ لو اسديت لى معروفا بابعادهم عن ولدى !.

ـ ابعاد من ؟.

ـ غيرك من رجال الشرطة . هؤلاء الذى لا يكفون عن مضايقة ولدى .

ـ وماذا يفعل ؟.

ـ انه يؤدى عمله .

ـ اى عمل هذا ؟.

ـ وانى لى ان اعرف ؟. وهل عندى من الوقت ما يتسع لذلك ؟. أن اعمل فى منازل غيرى ، ثم اقوم بما يجب على فى منزلى .

واتجهت بعد ان دخلا الفرقة ، للنافذة تفتحها حتى ينفذ الهواء الى الحجرة فتتجدد رائحتها الرطبة . غير انه لاحظ أن الحجرة نظيفة مرتبة . بالرغم من انها عبارة عن حجرة نوم وطعام واستقبال فى آن واحد .

ثم سألته وهى تخلع عنها قبعتها :

ـ ما هو السر فى كل ذلك ؟.

ـ ان ماريا سيريه لا يمكن العثور عليها .

ـ ما هذا ؟. انها فى هولندا .

ـ ولا فى هولندا .

ـ ولماذا تبحثون عنها ؟.

ـ لدينا من الاسباب ما يحملنا على الظن بأنها قتلت .

التمعت عيناها ببريق خاطف ثم قالت :
ـ ولماذا لم تلقوا القبض على القتلة ؟»
ـ ليس لدينا اى دليل نستند عليه »
ـ ولذلك جئت الى لازودك بهذا الدليل ؟»
ـ خبريني بما حدث يوم الثلاثاء ؟»
ـ لقد امضت يومها فى اعداد حقائبها »

ـ لحظــة ارجوك . انها متزوجــة من عامين ونصف . اليس كذلك ؟. واعتقد ان لها من المتاع الكثير ؟.

ـ فعلا . ليس اقل من ثلاثين ثوبا وما لا يعــــد ولا يحصى من الاحذية .

ـ وهل كانت تعتنى بهندامها ؟.

ـ انها لم تكن لتستغنى عن شيء من حاجياتها . لقــــد كانت تحتفظ بها مهما طال بها العهد ، ولو انها كانت لا ترتدى منها شيئا»

ـ حريصة ؟»

ـ اليس الحرص من شيمة جميع الاغنياء ؟»
ـ علمت بان كل ما حملته معها لم يكن غير صندوق وحقيبتين»
ـ تماما . اما الباقى فقد سبقها باسبوع .

ـ هل تعنين بهذا ، انها بعثت بصناديق اخرى للخارج ؟»

ـ صناديق ، وحقائب ، وغير ذلك . وقد وصلت احــــدى السيارات الكبيرة لنقل هــــذا كله . وكان ذلك يوم الخميس أو الجمعة .

ـ وهل قرات ما كان مسطرا على البطاقات ؟.

ـ لا اذكر العنوان بالتفصيل . ولكننى اذكر انها كانت مصدرة الى امستردام »
ـ وهل علم زوجها بذلك ؟»
ـ بكل تاكيد !»

ـ اذن فلم يكن رحيلها امرا مفاجئا .
ـ قد كنا نعلم بذلك بعد آخر نوبة هاجمتها .
ـ اية نوبة هذه ؟. وما نوعها ؟.
ـ نوبة قلبية ، كما كانت تقول .
ـ وهل كانت تعانى من قلبها ؟.
ـ يلوح ان الامر كان كذلك .
ـ وهل كان يشرف على علاجها احد ؟.
ـ الدكتور ديبوك .
ـ وهل كانت تتعاطى دواء ما ؟.
ـ بعد كل وجبة . ان الثلاثة كانوا يواظبون على ذلك . ولا زال الآخران على هذا الحال . فالى جانب كل كنت ارى زجاجة الدواء الخاصة به .
ـ ومم يشكو جيللوم سيريه ؟.
ـ لا اعرف .
ـ ووالدته ؟.
ـ ان افراد الطبقة الراقية غالبا ما يشكون من شيء .
ـ وهل كانت العلاقات بينهم طيبة ؟.
ـ كانت تمر أسابيع باسرها احيانا ، دون ان يوجه احدهم كلاما الى الآخر .
ـ وهل كان من عادة ماريا سيريه أن تكثر من كتابة الرسائل؟.
ـ كانت تواصل الكتابة من مطلع الشمس الى مغربها تقريبا .
ـ وهل كانت تعهد اليك بها ؟.
ـ فى معظم الاوقات . وكانت كل هذه الرسائل معنونة باسم واحد . اسم سيدة تقيم فى امستردام .
ـ وهل حالة آل سيريه المالية حسنة ؟.
ـ اعتقد ذلك .

ـ وحالة ماريا المالية ؟.
ـ حسنة بدون شك . والا لما تزوج بها ».
ـ هل كنت تعملين في منزلهم عندما تم زواجهما ؟».
ـ لا .
ـ الا تعرفين من كانت تقوم بذلك قبلك ؟.

ـ انهم يغيرون من تعمل لديهم باستمرار . فهذا الاسبوع هو آخر اسبوع بالنسبة لي عندهم . انني لم استطع ان احتمل اكثر من ذلك ، كما فعل غيري .

ـ ولماذا ؟.

ـ كيف تطيق ان تراهم يحصون عليك قطع السكر ؟ وعندما يتنازلون ليقدموا اليك نصف تفاحة يتحرون ان تكون تالفة عفنة ؟».
ـ الام سيريه ؟!.

ـ نعم الام سيريه . وآه لو رأيتها جالسا لتستريح . هنا الطامة الكبرى !. كيف يكون ذلك من حقك ، وهي السيدة التي قاربت الثمانين لا تهدأ ولا تمل .

ـ وهل هي التي اعفتك من العمل عندهم ؟.

ـ لا . انها لا تعرض نفسها لمثل هذه المواقف . انها تحب ان تبدو في عينيك اكثر رقة وادبا .

ـ وهل فوجئت بشيء غير عادي ، عندما عدت الى عملك في صباح الاربعاء ؟ او استرعى انتباهك امر ما ؟.
ـ لا شيء على الاطلاق .

ـ الم تلاحظي ان احدى النوافذ قد تحطم زجاجها في اثناء الليل ، او على الاقل لاحظت وجود معجون جديد حول زجاج احدى النوافذ ؟.

قاومات برأسها موافقة ثم قالت :
ـ ولكنك اخطأت تاريخ اليوم ».
ـ اي يوم ؟».

ـ يوم لاحظت ذلك . حيث كان هذا قبل يوم الاربعاء بيـومين او بثلاثة ايام . يوم هبوب العاصفة .

ـ أواثقة أنت مما تقولين ؟.

ـ كل الثقـة . لانني قمت بتنظيف ارض غرفة المكتب التي أفسدتها الامطار التي وجدت لها طريقا خلال النافذة المحطمة .

ـ ومن الذي اعاد تركيب الزجاج ؟.

ـ مسيو جيللوم .

ـ وهل هو الذي قام بشرائه ؟.

ـ نعم . وكان ذلك حوالى العاشرة صباحا .

ـ وهل انت واثقة من التاريخ الذي حدثتني به ؟.

ـ كل الثقة .

ـ شكرا جزيلا .

وشعر بانه لم يعد هنالك ما يسألها عنه . كما شعر بانه لم يعد له عمل في شارع دي لافيرم . اللهم الا اذا كانت أوجيني قد اقدمت على مسامحه بما لقنوها اياه . وان صح ذلك ، فانها تكون اشـد بلاء من الجميع واقدر على الكذب .

ـ اوتظن انهم قتلوها ؟.

ولم يعقب . واتجه نحو الباب .

ـ بسبب زجاج النافذة ؟.

واهتزت نبرات صوتها قليلا .

ـ هل كان من المفروض ان تتحطم النافذة في التـاريخ الذي حددته انت ؟.

ـ لماذا ؟. او تحبين ان تشهدي اليوم الذي يودعان فيـه السجن ؟.

ـ ليس احب من ذلك الى قلبي . اما وقد نطقت بالحق ...

وكانها ندمت على قول الحق . وكانها كانت تترقب ما يتيح لها ان تعدل عما قررته .

ـ يمكنك ان تذهب الى الحانوت الذى اشـــترى منه الزجاج لتتحقق من ذلك .

ـ شكرا على معلوماتك .

ووقف ينتظر مرور احدى سيارات الأجرة امام احد الحوانيت. وما ان اقبلت احداها حتى استقلها الى شارع دى لافيرم .

ورأى انه لم يعد هناك ما يدعو لاستمرار تورينس فى خدمته. كذلك الحال بالنسبة لوجل الشرطة المعين من قبل شرطة نويللى . وعادت اليه ذكرى حادث شارع دى لالون وما كان من ســلوك ارنستين حينئذ ، الا ان هذا الذى اقدمت عليه حديثا ، لم يكن من الطرافة فى شىء . وكان ما فيه من ازعاج للسلطات يجب ان تؤاخذ عليه . واخذ يقلب الأمر على وجوهه . ورأى فيما راى انه اول من يوجه اليه اللوم فى ذلك ، لاندفاعه فى هذه القضية وراء اقوالها ، مما حمله على ارتكاب الكثير من التصرفات البعيدة عن الروية والتدبر والتى جعلته يبدو شديد الحمق ، لأول مرة فى حياته ، وذلك عنــدما كان بمكتب رئيس الشرطة هذا الصباح بناحيــة نويللى .

وكان قلقا . يضع قدما ليرفع الأخرى . مقلبا غليونه فى فمه يمينا ويسارا . يتحرك بجسمه كما تتحرك معه افكاره . واخيرا قال للسائق .

ـ اتجه الى شارع لونجشامب ، حيث يوجد حانوت للادوات المنزلية . قف أمامه لحظة اذا كان لم يزل مفتوحا .

لقد جازف فى هذه القضية كثيرا . وها هو ذا سيلقى بآخر سهم فى جعبته . ولتكن هذه هى الرمية الأخيرة . وحتى اذا وجــد الحانوت مغلقا ، فلن يكلف نفسه عناء العودة اليه مرة اخرى . ومع ذلك ، فأى دليل هنــاك على أن الفريد قد اقتحم هذا المنزل فعــلا وسطا عليه ؟.

لقد خرج على دراجته فعلا من منزله فى كاى دى جيماب ، هذا امر متفق عليه ، وفى الفجر اتصل تليفونيا بزوجته ، وهو أمر آخر

لا جدال فيه . ولكن من يدرى ومن تسمع ما دار بينهما من حديث ؟».
ـ لم يغلق ابوابه بعد !.

آه .. انه يقصد حانوت الادوات المنزلية من غير شك . وترك السيارة الى الحانوت حيث قابله شاب طويل القامة ، فبـــادره مستفسرا :

ـ هل تبيعون الواح الزجاج ؟.
ـ نعم يا سيدى .

ـ والمعجون الخاص بتركيبها ؟.
ـ بكل تاكيد . هل اتيت بالابعاد ؟.

ـ انها ليست لى . هل تعرف مسيو سيريه ؟».

ـ طبيب الاسنان ؟. نعم يا سيدى .
ـ هل هو من عملائك ؟.

ـ انه عميل مستديم .
ـ هل رايته حديثا ؟.

ـ انا شخصيا لم اره حديثا ، لاننى عدت من عطلتى امس الاول فقط . وقد يكون حضوره قبل ذلك . ومن اليسير معــرفة ذلك بمراجعة دفتر المبيعات .

ولم يستفسر الشاب من ميجريه عن السبب فى هذا . واتجه الى احد الادراج واخرج دفترا اطلع عليه ثم قال :

ـ لقد اشترى لوحا من الزجاج فى الاسبوع الماضى .
ـ او يمكن ان اعرف فى اى يوم كان ذلك ؟.

ـ يوم الجمعة .

لقد هبت العاصفة يوم الخميس ليلا . اذن فقد كانت اوجيتى على حق . وكذلك كانت السيدة سيريه .

ـ واشترى نصف رطل من المعجون ايضا .
ـ شكرا .

وفى الوقت الذى كاد ميجريه يفقد الأمل فى هذه القضية ءعاد ليتعلق بخيط جديد قدم له طرفه الشاب الذى كان يستعد لغلق المحل وهو يقول بعد ان راجع اليومية مراجعة شكلية :

ـ لقد جاء الى هنا مرة اخرى هذا الاسبوع .

ـ متى ؟.

ـ يوم الاربعاء .. لقد اشترى لوحا من نفس الحجم الذى اشتراه من قبل ٤٢×٦٥ ونصف رطل آخر من المعجون .

ـ اواثق انت من ذلك ؟.

ـ بل استطيع ان أخبرك بانه حضر فى ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم . فقد كان اول عميل يشـــــترى من المحل فى اليوم المذكور .

ـ متى تبدءون عملكم ؟.

وهذه نقطة فى غاية الأهمية . لأن اوجينى تقرر انها لم تلاحظ شيئا عندما بدات عملها فى التاسعة صباحا .

ـ نحن نحضر فى التاسعة صباحا . ولكن صاحب العمل يحضر فى الثامنة .

ـ شكرا . انك ممتاز .

وكان من الطبيعى ، ان يتساءل هذا الشاب الممتاز فيما بعد ، عما حدا بهذا الرجل ، الذى اقبل عليه مهموما ، ان ينصرف بهذه الروح المعنوية العالية غير محاول ان يخفى انشراحه وابتهاجه .

ـ اظن انه لا يوجد ما يدعو للخشية من العبث بهذه الصفحات؟

ـ ومن هو الذى يجرؤ على ذلك ؟. ولماذا ؟.

ـ نعم . لماذا؟. وما عليك الا ان تتبع نصيحتى وتعمل بها . كن حذرا وافتح عينيك . وسارسل مندوبا غدا صباحا لأخذ صـورة فوتوغرافية لهذا المستند .

ثم أخرج بطاقة زيارة من جيبه قدمها للرجل الشاب الذى قرأها بدوره :

كبير المفتشين ميجريه

ادارة عموم الامن العام

باريس

وساله سائق السيارة :

ـ الى اين ؟.

ـ الى شارع دى لافيرم ، أمام المقهى الذى سيقابلنا على اليسار ...

الم يكن ، بعد ما وصل اليه ، ليستحق قدحا من البيرة، يعوضه عن كل ما مر به من اثارة . وكان على وشك أن يدعو كلا من توريلس وزميله الآخر للانضمام اليه ، ولكنه عدل عن ذلك واكتفى بدعوة السائق :

ـ ماذا تشرب ؟.

ـ نبيذا ابيض بالفيشى .

وجلسا يستمتعان بمشروبهما ، وبانعكاس أشعة الشمس الذهبية على أديم الشارع . ويستمعان الى صوت النسيم وهو يتخلل اشجار غابة بولونى الباسقة .

وكان على مسافة قصيرة منهما ، ذاك البيت الذى يخيم عليه السكون ، كما يخيم على اديرة الرهبان ، تحيط به حديقته الخضراء ببابها الحديدى الكبير فى سواده المقبض .

وهناك فى هذا المنزل ، تقيم سيدة طاعنة فى السن وكانها كبيرة الراهبات . ويقيم معها ابنها الذى يبدو كسلطان من سلاطين الاقاصيص . وبين ميجريه وبينهما شوط طويل من النضال العنيف حتى تنتهى الجولة .

ان فى جعبة الحياة الكثير ، وكل شىء مرهون بوقته .

# الفصل الخامس

وأمضى ميجريه سائر اليوم على الوجه الآتى . فبعد أن شرب قدحين من البيرة صحبه السائق الذى شرب بدوره كأسا من النبيذ الأبيض المخلوط بمياه فيشى ، استقل السيارة وقد اختمرت فى رأسه فكرة مواصلة السير الى الفندق الذى كانت تقيم به « ماريا فان ايرتز » مدة عام .

وفى الواقع ان جانفييه لم يترك له ما يدعوه لهذه الزيارة . غير أنه جريا على عادته التى دأب عليها دائمـــا ، رأى ان يذهب ليلمس بنفســه طبيعة الجو والمكان ، وما كان يحيط بهذه السيدة فى حلها وترحالها .

ورأى الفندق من الخارج وكأنه يزهو بلونه الابيض . فلمــا تجاوز بابه الى الداخل،وجد ان كل ما فيه يدل على ذوق جميل ، مما ترتاح لمرآه الاعين . وقابلته مديرة الفندق ، بوجههـــا الوردى وملابســـها البيضاء ، وشابهت المكان ذوقا وجمالا .

ـ لقد كانت شخصية محبوبة حقا يا مسيو ميجريه ! وليس من شك فى ان زوجها قد سعد بها حقا ! وكنـــا نلاحظ عند وجــودها بيننا انها كانت تحلم بالزواج .

ـ وهل نفهم من هذا انها كانت تبحث عن الزوج ؟

ـ أليس هذا هو حال جميع الفتيات ؟.

ـ اظن انها كانت قد بلغت الثمانية والاربعين عاما عندما كانت تعيش هنا ، هذا اذا لم اكن مخطئا ؟.

ـ غير ان قلبها كان لم يزل شابا !. لقد كانت تفيض حيـــوية ولا تنقطع عن الضحك . ولن تصدقنى اذا قلت لك انها كانت مغرمة بممارسة العاب الحيل مع صديقاتها من نزيلات الفنـــدق . ويوجد بالقرب من المادلين ، حانوت لم يسبق لى أن لاحظت وجوده من قبل، وهى التى دلتنى عليه ، وهذا الحانوت يبيع جميع انواع هذه الخدع من فئران ميكانيكية الى ملاعق تذوب فى القهـــوة ، الى كؤوس

لا يمكن الشرب منها ، الى آخر ذلك مما يوقع القـــوم فى مواقف محرجة عابثة ! وكانت ماريا من احسن عملاء هذا الحانوت .

ثم استطردت قائلة :

ـ وهى ، علاوة على ذلك ، سيدة مثقفـة زارت جميع متاحف أوربا وكانت تمضى اياما طويلة فى متحف اللوفر .

ـ اسبق لها ان قدمت اليك زوجها المنتظر ؟ .

ـ لا . لانها كانت لا تطلع احدا على اسرارها . ولعلهـــا كانت تفضل الا تحضر به الى هنا ، حتى لا تكون محلا لحسد زميلاتها . واعتقـد أنه ممن يتمتعون بشخصية آسرة جـــذابة مما يمتاز به الدبلوماسيون .

ـ هكذا ؟!! . .

ـ انه طبيب اسنان ، كما علمت منها ، لكنه لا يقابل الا القليل من مرضاه ، وبناء على موعد سابق . كما انه من أسرة واسعة الثراء .

ـ والآنسة فان ايرتز ، الم تكن هى الاخرى من اسرة واســعة الثراء ؟ .

ـ لقد ترك لها والدها مبلغا من المال لا يستهان به .

ـ الا خبريني ، هل كانت بخيلة ؟ .

ـ هل بلغك ذلك ايضا ؟ . ليس من شك فى انهـا كانت كذلك حقا . فعندما كانت تزمع الذهاب للمدينة مثلا ، كانت تنتظر حتى تبدى احدى النزيلات رغبتها فى ذلك فتذهب معها ، حتى لا تدفع من اجرة السيارة الا النصف . وكانت فى كل اسبوع تناقشنى الحساب المقيد فى قائمتها .

ـ او لا تعرفين شيئا عن الظروف التى قابلت فيها المســـيو سيريه ؟ .

ـ لم يكن ذلك ، فيما اعتقد ، عن طريق اعلانات الزواج .

ـ وهل كانت قد اعلنت عن رغبتها هذه فى الصحف ؟ .

ـ ما اظنها كانت جادة فى ذلك . ولعلها قامت بنشر الاعلان

لمجرد الدعاية فقط . وان كنت لا اذكر على وجه التحديد ما نشرته فعلا ، الا اننى اذكر ان الاعلان قد جرى على الوجه الآتى : سيدة أجنبية ، ثرية ، ترغب فى مقابلة رجل يشترك معها فى هذه الصفات وفى رغبة الزواج . ولقد تلقت مئات من الرسائل ردا على هذه النشرة . وكانت تحدد لبعضهم موعدا لمقابلتها باللوفر لى مكان معين منه ، على أن يحمل الرجل منهم كتابا معينا بالذات أو شيئا من هذا القبيل .

ووجد ميجريه الكثيرات ممن هن على شاكلتها ، ما بين انجليزيات وسويديات وامريكيات ، يجلسن فى بهو الفندق ، على مقاعدهن الوثيرة ، فى دعة وفى سكون ، ليتمتعن بهدوء هذا المكان الجميل .

ـ ارجو الا يكون قد لحق بها ضرر ما .

وكانت الساعة قد بلغت السابعة تقريبا عندما ترك ميجريه سيارة الاجرة عند كاى دى أورفيفر . ورأى فى طريقه الى الادارة ، جانفييه مقبلا عليه متأبطا لفافة تحت ذراعه ، وقد بدا على وجهه الانشغال والتفكير . فانتظره عند قاعدة الدرج حتى انضم اليه ، ثم صعدا معا الى الادارة .

ـ كيف تسير الامور يا ولدى ؟

ـ على ما يرام يا سيدى الرئيس .

ـ ماذا تحمل ؟

ـ عشائى .

ولم يتذمر جانفييه او يشكو . واكتفى بأن نظر الى رئيسه نظرة المقدر للظروف ، التى اضطرته الى ذلك .

ـ ولماذا لم تذهب الى منزلك لتتناول عشائك ؟

ـ بسبب هذه المرأة جرترود . لعنة الله عليها !

ووجدا ان معظم الغرف قد خلت من شاغليها ، وكانت نوافذ الادارة مفتوحة ، فامتلأ المكان بنسيم المساء المنعش ، مما اعاد اليهما بعض نشاطهما ، وعوضهما عما قاسياه من حرارة النهار .

ـ قمت بما يلزم للاتصال بجرترود اوستنج فى امستردام .

فلم أجد الا الخادم التى اجابت نداء التليفون ؟ مما اضطرنى للاستعانة بشخص كان موجودا بقسم الأجانب لاستخراج بطاقة له، لأن الخادم لم تكن تتكلم الفرنسية .

ــ ولسوء حظى ، علمت ان السيدة أوستنج قد خرجت مع زوجها فى تمام الساعة الرابعة بعد الظهر . وذلك لحضور حفلة تنكرية . كما علمت بأنهما سيتناولان طعام العشاء مع بعض الأصدقاء فى مكان ما . وقررت بأنها لا تعلم شيئا عن موعد عودتهما للمنزل ؟ لأنها كلفت تعهد أمر الأطفال عند النوم .

ــ وبمناسبة الكلام عن الأطفال .

ــ ماذا ؟ .

ــ لا شىء يا سيدى الرئيس .

ــ هيا ، ماذا كنت قائلا ؟ .

ــ دعنا من ذلك . لا شىء أكثر من أن زوجتى ... فاليوم عيد ميلاد ولدنا الاكبر . وكانت قد اعدت عشاء خاصا لهذه المناسبة . ما علينا .

ــ هل عرفت من الخادم أن سيدتها تتكلم الفرنسية ؟ .

ــ نعم .

ــ اذن ، فلتذهب الى منزلك .

ــ ماذا تقول ؟ .

ــ قلت تذهب الى منزلك . اترك لى هذه الشطائر . سأتخلف أنا .

ــ قد يغضب هذا السيدة ميجريه .

وتطلب الأمر ان يزيد ميجريه من الحاحه ، حتى خضع جانفييه أخيرا وانطلق مسرعا ليلحق بقطار الضواحى .

وتناول ميجريه طعامه فى غرفة مكتبه ، ثم توجه لمقابلة مويرز فى المعمل ، حيث تبادل معه حديثا طويلا . ولم يغادر مويرز المعمل الا بعد الساعة التاسعة حين خيم الظلام تماما .

ــ ليس من شك فى انك تعرف ماذا انت فاعل ؟ .

ـ نعم يا سيدى المفتش .

واصطحب مويرز معه أحد المصورين والكثير من الأجهـــزة والمعدات . ولم يكن ما سيقوم به متمشيا مع القوانين واللوائح ، غير انه ما دام قد ثبت ان جيللوم سيريه قد اشــترى لوحين من الزجاج لا لوحا واحدا ، فلم تعد مجافاة القانون ذات اهمية فى كثير أو قليل .

ولما عاد الى غرفة مكتبه ، طلب الاتصال تليفونيا بامستردام ، وسمع الخادم تتحدث على طرف الخط الآخر ، واستطاع ان يتبين من حديثها ان سيدتها لم تعد بعد الى المنزل .

ثم اتصل بزوجته .

ـ هل لديك مانع من مقابلتى فى حلوانى دوفين ؟ أمامى ساعة يمكن أن نقضيها معا . استقلى سيارة .

وتمتعا معا بجلسة هادئة ، وامسية جميلة ، فى شرفــة المقهى المطلة على الشارع الرئيسى فى مواجهة قصر العدالة .

وانتقل ميجريه بخيــاله ، الى شارع دى لافــيرم ، حيث كان مويرز قد بدأ عمله . لقد اصدر له ميجريه تعليماته بأن ينتظر حتى يتاكد من ان السيدة سيريه وولدها قد دخلا غرفتى نومهما . وكان على توربنس ان يقوم بالحراسة امام المنزل ، حتى يغطى مويرز فى اثناء قيامه بما كلف من عمل فى الجاراج وتفتيش السيارة تفتيشا دقيقا ، والحصول على كل ما يلزم من بصمات وآثار وغير ذلك مما يجرى عليه التحاليل والمضاهاة .

ـ اراك راضيا عن نفسك .

ـ لا يوجد ما أشكو منه .

ولم يكن مستعدا ان يعترف بانه منذ ساعات قليلة كان ابعــد ما يكون عن أن يرضى عن نفســـه ، وانه لم يكن ليتصــور مطلقا انه سيتمتع بهذه الجلسة الهادئة مع زوجته ، يرتشفان ما طاب لهمــا من شراب ومثلجات .

وترك زوجته مرتين ليذهب الى غرفة مكتبه ، حيث كان يطلب

الاتصال بامستردام ، ولم يكن ذلك قبل الساعة الحادية عشرة والنصف ، حين سمع صوتا آخر غير صوت الخادم يجيبه بالفرنسية :

ـ لا استطيع ان اسمعك جيدا »

ـ قلت انني اتصل بك من باريس »

ـ آه !. باريس !»

وكانت تتحدث بنبرات قوية ، وان كانت بالرغم من ذلك حلوة جذابة .

ـ من ادارة الأمن العام »

ـ ادارة الشرطة ؟.

ـ نعم . انني اتصل بك بشأن صديقتك ماريا . هل تعرفينها ؟ ماريا سيريه . ولقبها الاصلي فان ايرتز . هل تعرفينها .

ـ اين هي ؟»

ـ لا أعرف . انني اتصلت بك من أجل هذا . ألم تكن تكتب اليك من حين لآخر ؟»

ـ نعم ، في غالب الأوقات . كان من المفروض ان اذهب لمقابلتها بالمحطة صباح الأربعاء »

ـ وهل توجهت لمقابلتها ؟»

ـ نعم .

ـ وهل التقيت بها ؟»

ـ لا .

ـ الم تبرق اليك او تتصل بك تليفونيا لتعتذر من حضورها ؟»

ـ لا . وقد اقلقني ذلك »

ـ لقد اختفت صديقتك .»

ـ ماذا تعني ؟»

ـ بماذا كانت تصرح لك في رسائلها ؟»

ـ بالكثير .

وسمعها تتحدث بلغتها الى شخص ما بجوارها ، لعله كان زوجها ، الذى كان الى جانبها فى اثناء حديثها .

ـ هل يحتمل انها توفيت ؟.

ـ يحتمل ذلك . هل كتبت اليك بانها غير سعيدة ؟.

ـ كانت تعسة .

ـ ولماذا ؟.

ـ لم تكن تميل الى السيدة العجوز .

ـ حماتها ؟.

ـ نعم .

ـ وبماذا حدثتك عن زوجها ؟.

ـ انه لم يكن رجلا بمعنى الكلمة . لم يكن باكثر من صبى يافع من طلبة المدارس يرتعد فرقا من امه .

ـ منذ متى افضت اليك بذلك ؟.

ـ منذ زواجها تقريبا . او بعد زواجها باسابيع قليلة .

ـ وهل تحدثت برغبتها فى هجره منذ بدء زواجهما ؟.

ـ لا . كان ذلك بعد عام او اقل قليلا .

ـ وهل كتبت اليك بذلك حديثا ؟.

ـ كتبت لى بانها قد استقرت على قرار اخير . وسالتنى أن ابحث لها عن سكن فى امستردام يكون مجاورا لسكننا .

ـ وهل اهتديت الى سكن لها ؟.

ـ نعم . والى خادم ايضا .

ـ اذن فقد اعددت لها كل شىء ؟.

ـ نعم . وذهبت الى محطة السكة الحديدية .

ـ هل لديك مانع من ان تبعثى الي بصور من رسائل صديقتك؟ وهل تحتفظين بها ؟.

ـ لقد احتفظت بجميع رسائلها . الا ان امر نسخ صور منها سيكون من الأمور العسيرة ، لانها رسائل مطولة . غير أنني لا امانع فى أن ابعث اليك بما يعنيك منها . هل انت واثق ان شيئا ما قد الم بها ؟.

ـ لقد اقتنعت بذلك .

ـ هل قتلت ؟.

ـ لا أستبعد ذلك .

ـ أهو زوجها ؟.

ـ هذا مالم اعرفه بعد . سيدتى . ارجو ان تصغى الي . بوسعك أن تقدمى لى خدمة كبرى . هل يمتلك زوجك سيارة ؟.

ـ نعم .

ـ اذن فلتتكرمى بالتوجه الى الادارة الرئيسية للشرطة ، التى ستجدين فيها من يقوم بالعمل ليلا ، واسالى عن الضابط المنوب وبلغيه بأنك كنت تنتظرين حضور صديقتك ماريا ، واطلعيه على آخر رسالة منها . ثم قومى بتحرير مذكرة تثبتين بها قلقك لعدم وصولها وتطلبين فيها بحث الموضوع .

ـ هل يتعين ان اشير الى اسمك ؟.

ـ كما تشائين . ان كل ما اطلبه منك أن تلحى فى طلب القيام بالتحريات اللازمة .

ـ ساصر على ذلك حتما .

ـ شكرا . ولا تنسى أن ترسلى ما وعدتنى به من رسائل .

ثم طلب الاتصال بعد ذلك بالادارة الرئيسية للشرطة فى امستردام .

ـ بعد دقائق ، ستحضر السيدة اوستنج لتبلغ عن اختفاء صديقتها السيدة سيريه ، المعروفة اصلا باسم الانسة فان ايرتز .

ـ هل كان اختفاؤها فى هولندا ؟.

ـ لا . كان ذلك فى باريس . الا اننى بحاجة الى شكوى رسمية حتى تكون ذريعة لى فيما أريد القيام به . فأرجو بمجرد تلقى بلاغها أن تبعثوا الي ببرقية تطلبون فيها عمل التحريات اللازمة .

واقتضى الأمر من ميجريه بعض الوقت ، حاول أن يشرح فيه ما غمض للضابط المنوب عن كيفية علمه بأن السيدة أوستنج قادمة اليه .

ـ ساخبرك بكل التفصيلات فيما بعد . ان كل ما اطلبه منك الآن هو البرقية . ابعث بها بالبريد المستعجل . حيث يجب ان تصلنى فى مدى نصف ساعة على الأكثر .

وعاد ليلحق بزوجته ، التى وجد انها قد بدأت تتبرم بوحدتها .

ـ هل انتهيت مما يشغلك ؟ .

ـ لا . ساتناول كاسا ثم نرحل .

ـ الى المنزل ؟ .

ـ الى مكتبى .

وكم كان يضايقها ان تضطر الى ذلك . لطالما ملت تلك الفترات القليلة التى اضطرت أن تقضيها بالادارة .

ـ او تعرف انك تبدو امامى كمن يقوم بدور فى تمثيلية مضحكة أو كمن يدبر خدعة ليلهو بها .

ـ فعلا ! . الى حد ما .

ـ ترى مع من ؟ .

ـ مع شخص اذا ما وقع نظرك عليه حسبته أحد السلاطين ، وواحدا من الدبلوماسيين ، وصبيا لم يتجاوز الحلم . كل ذلك فى وقت واحد .

ـ لم افهم شيئا .

ـ اعرف ذلك ! .

ولم يكن من عادته ان يبدو دائما بهذه الروح العالية . ترى كم من الكؤوس شرب ؟ . ولم تكد تحصى عددها ، حتى سمعته يطلب

كاسا آخر ، القى به فى جوفه دفعة واحدة ، ثم اخذها من ذراعها ؛
عائدا الى غرفة مكتبه .

ــ كل ما اطلبه منك : الا تشغلى نفسك ولا تشغلينى بالتحدث عن قذارة المكان وكثرة الاتربة به !.

وعندما استقر بغرفة مكتبه رفع سماعة التليفون ليسأل :

ــ هل وردت برقيات باسمى ؟.

ــ لا يا سيدى المفتش .

وبعد عشر دقائق ؛ عادت الحملة من شارع دى لافيرم ؛ ولم يتخلف منها الا تورينس .

ــ هل تم كل شىء على ما يرام ؟.

ــ نعم يا سيدى . لم يزعجنا احد . وقد اصر تورينس على الا نبدا عملنا الا بعد اطفاء جميع الانوار بالمنزل . واضطررنا أن ننتظر طويلا حتى يأوى جيللوم سيريه الى فراشه .

ــ والسيارة ؟.

ولم يبق بالغرفة من رجال الحملة الا مويرز والمصور . وذلك غير السيدة ميجريه التى كانت تجلس فى ركن من الغرفة ، وكانها لا يعنيها من الامر شىء .

ــ قمنا بفحص السيارة فحصا دقيقا . واول ما لاحظناه انها لم تتحرك من مكانها منذ ثلاثة ايام تقريبا . ولم نجد اى آثار تدل على وقوع صراع فى داخلها . اما فى صندوقها الخلفى ؛ فقد وجدنا ثلاثة خدوش أو اكثر حديثة العهد .

ــ كتلك التى تنتج عن وضع حقيبة ثقيلة الوزن مثلا ؟.

ــ تقريبا .

ــ هل وجدتم آثارا لبقع من الدم ؟.

ــ لا . ولا من الشعر . لقد فكرت فى كل ذلك . ولم نترك شيئا . وسيقوم اميل بتكبير الصور .

وهنا تدخل المصور قائلا :

ـ سأقوم بذلك الآن . يمكن أن انتهى من ذلك بعــد عشرين دقيقة .

ـ سأنتظرك هنا . وهل لاحظت يا مويرز ان السيارة قد نظفت أخيرا ؟.

ـ من الخارج .. لا .. اما من الداخل فقد لاحظت انها نظفت بكل عناية . حتى الدواسة ، لم أجد بها ذرة من غبار . ومهما يكن من امر فقد حصلت على نماذج كثيرة للقيام بتحليلها فى المعمل .

ـ هل عثرت على اية معدات من معدات التنظيف بالجاراج ؟.

ـ لا . وبحثت عن شيء من ذلك فعلا .

ـ ولم يكن هناك شيء آخر غير طبيعى . هل يمكن أن انصرف الآن ؟.

وخلت الغرفة الا منهما ، وران على المكان صمت مطبق ، واخيرا تأمل ميجريه زوجته قائلا :

ـ الا تشعرين برغبة فى النوم ؟.

فأجابته بالنفى . ثم جالت بعينيها فى الغرفة التى أمضى بهـا زوجها زهرة عمره ، والتى لم تكن تعرف منها الا القليل .

ـ أو هكذا تسير الأمور دائما ؟.

ـ أى أمور ؟.

ـ القضايا . عندما لا تعود الى المنزل .

ولعلها كانت تتصور عن عمله غير ما لمسته بنفسها . ولم تكن ترى فيه الا نوعا من المباراة السهلة الميسرة .

ـ هذا يختلف باختلاف القضايا .

ـ وهل تدور هذه القضية حول جريمة قتل ؟.

ـ فى الغالب .

ـ وهل وصلت الى معرفة القاتل ؟.

فابتسم فى وجهها ابتسامة حملتها على أن تدير رأسها عنه وهى تستطرد مستفسرة :

ـ وهل يعلم انك تشك فيه ؟».
فاوما براسه ايجابا :
ـ لعله لا يغمض له جفن ؟».
ثم اضافت بعد لحظة وقد علتها رجفة لما كانت تفكر فيه :
ـ يا لهول ما يقاسيه !»..
ـ وهل ما تعرضت له المسكينة كان اقل هولا ».
ـ اعرف ذلك . ولكنه كان اقصر امدا ـ اليس كذلك ؟».
ـ يحتمل ».

وبعد قليل ، تلقى ميجريه من شرطة هولندا : البرقية التى كان يترقب وصولها تليفونيا ، على ان ترد له نسخة كتابية منها فى صباح اليوم التالى ».

ـ والآن .. هيا بنا الى منزلنا ».
ـ الن تنتظر حتى ينتهى تكبير الصور الفوتوغرافية ؟».

فابتسم مرة اخرى ، لما رآه من رغبتها فى الكشف عن المزيد تلك الرغبة التى باعدت بينها وبين الرغبة فى النوم ».

ـ لن نجد جديدا فى هذه الصور ».
ـ او تعتقد ذلك ؟ ».
ـ انا واثق من ذلك . وكذلك الحال بالنسبة للتجارب التى يجريها مويرز فى معمله ».
ـ ولماذا ؟ . الأن القاتل كان شديد الحرص ؟».

فلم يعقب بشىء . واقتاد زوجتـه الى الخارج بعد ان اطفأ الانوار فى حجرته ».

***

ـ مسيو ميجريه ؟ . اهذا انت ؟ »

ونظر الى المنبه الموجود بجوار فراشه ؛ فوجد ان السـاعة قاربت الثامنة والنصف . لقد تركته زوجته نائما حتى يأخـذ قسطه من الراحة ؛ وتبين من الصوت انه لارتستين ؟

ـ هل ازعجتك ؟ .

ففضل الا يعترف بذلك .

ـ اتحدث اليك من مكتب البريد . لقد وجدت بطاقة اخرى باسمى .

ـ من الهاتف ؟ .

ـ من دوان . وهى كالسابقة لم يسطر بها شيء غير عنوانى . كما انه لم يذكر شيء عن الاعلان الموجـــه الذى نشرته الصحف .

ثم عادت تستفسر منه بعد ان توقفت عن الحديث قليلا :

ـ هل هناك من جديد ؟ .

ـ نعـــم .

ـ وما هو ؟ .

ـ شيء يتصل بزجاج النوافذ .

ـ خبر عظيم ! .

ـ لمن ؟ .

ـ لنـــا ! .

ـ فعلا . قد يكون فيه بعض الخير لك وللفريد .

ـ اتظن بى الظنون ! .

ـ لا . على الاقل فى الوقت الحاضر .

وعندما وصل الى الادارة العامة ، اصطحب معه جانفييه فى احدى سيارات الشرطة ، التى تولى الاخير قيادتها .

ـ شارع دى لافيرم .

ومزودا بالبرقية فى جيبــــه ، وقف بالسيارة امام البـــاب الحديدى مباشرة ، وتركها هو وزميله الى حيث قرعا البـــاب الداخلى وقد اتسمت حركاتهما بالجد وبرســمية وظيفتيهما . ولاحظا أن ستار احـدى نوافذ الطابق الثانى قد تحرك قليلا . وبعد برهة فتحت اوجينى الباب لهما .

ـ سعدت صباحا يا أوجيني . ان المسيو سيريه بالمنزل ولى كلمة معه .

ولاحظ ان هناك من يقف على الدرج ، وسمع صوت السيدة سيريه تقول :

ـ فليدخل السيدان الى غرفة الضيوف يا اوجيني .

وكانت هذه هي المرة الاولى ، التي يدخل فيها جانفييه هذا البيت . ولاحظ ميجريه أن جانفييه اخذ بالمكان . ثم سمعا وقع اقدام بالطابق العلوى . وبعد قليل فتح باب الحجرة ووقف به جيللوم سيريه شامخا كالطود .

وكان متمالكا نفسه ، تماما كما كان حاله في اليوم السابق ، ووقف يحدجهما بنظرات هادئة وقحة قبل أن يقول :

ـ هل معك امر باى اجراء ؟ .

فتعمد ميجريه أن يخرج حافظته من جيبه متمهلا ، ثم فتحها واخرج منها مستندا سلمه اليه بكل ادب .

ـ اليك ما تريد يا مسيو سيريه .

ولم يكن الرجل مستعدا لهذه المفاجاة . وتناول المستند وألقى عليه نظرة اولية ثم اتجه نحو النافذة ليتحقق من استكماله لجميع الشكليات على حين واصل ميجريه حديثه قائلا :

انه اذن بالتفتيش كما ترى ، محرر بناء على محضر التحري الذي فتح بعد بلاغ السيدة جرترود أوستنج من امستردام ، بشأن اختفاء السيدة ماريا سيريه ، سابقا فان ايرتز .

وعندئذ دخلت السيدة سيريه الحجرة .

ـ ماذا هناك ياجيللوم ؟ فأجابها برقة لم تعهد فيه :

ـ لا شيء يا اماه ، غير أن هذين السيدين ، كما ارى ، يريدان تفتيش المنزل . فلتصعدى الى غرفتك .

فترددت قليلا ، ثم نظرت الى ميجريه وكأنها تسأله رأيه :

ـ جيلوم ! لا تفقد أعصابك .

ـ اطمئنى يا أماه . أرجو أن تتركينا قليلا .

ولاحظ ميجريه أن الأمور لا تسير كما كان يتوقع . فزوى ما بين حاجبيه قائلا :

ـ أتوقع أنك ستكون بحاجة لأن تستشير محاميك ؟ لأننى قد أقوم بتوجيه بعض الأسئلة فيما بعد .

ـ لست بحاجة الى محام . أما وقد حصلت على اذن بالتفتيش، فلا اعتراض لى على وجودك هنا . هذا هو كل ما فى الأمر .

ـ وكان جميع نوافذ الطابق الأرضى مغلقة . فاتجه سيريه الى أقرب نافذة .

ـ لعلك تفضل مزيدا من الضوء ؟ .

وكان يتكلم بلهجة مشوبة بالازدراء .

ـ هيا الى عملكما .

ثم اتجه سيريه بعد ذلك الى غرفة المكتب لفتح نوافذها ، ومن بعدها الى غرفة العيادة .

ـ اذا مارغبتما فى الصعود الى الطابق الثانى ، أرجو اخطارى بذلك . أما جالفييه ، فقد دأب على التحديق فى وجه رئيسه وقد تملكته الحيرة منذ دخولهما الى المنزل . أما ميجريه فلم يكن منشرح الصدر كما كان فى الصباح أو فى الليلة الماضية . فقد كان قلقا مهموما .

ـ هل يمكن أن أتصل بالتليفون يا مسيو سيريه ؟ .

وكان سؤاله بنفس اللهجة المهذبة التى كان يعامله بها الآخر .

ـ هذا من حقك .

وبعد أن اتصل بالادارة العـــامة ، علم أن مويرز قدم تقريرا سلبيا كما كان ينتظر ذلك كبير المفتشين .

ـ حول الخط الى المعمل . من ؟ مويرز ؟ هل يمكن أن تحضر فورا الى شارع دى لافيرم ومعك رجالك وأجهزتك ؟ .

وكان يراقب سيريه من طرف خفى . ووجده منشغلا باشعال سيجار كبير ولم يختلج له جفن .

ـ كل شيء . كلا . لايوجد احدا . ساكون هنا .
ثم نظر الى جانفييه قائلا :

ـ يمكنك أن تبدأ عملك .

ـ من هذه الغرفة ؟ .

ـ من اية غرفة شئت .

***

ولازمهما جيللوم سيريه خطوة خطوة ، وكان يراقب ما يفعلان دون أن ينبس ببنت شفة . وراح جانفييه يفتش أدراج المكتب ، على حين شغل ميجريه نفسه بسجلات الطبيب الخاصة ، التى كان يدون منها بعض الملاحظات فى دفتر مذكراته .

وفى الحق ان ميجريه كان يعلم فيما بينه وبين نفسه ، انه لاجدوى من كل هذا الذى يقوم به . وأن كل ماكان يصبو اليه من هذا التفتيش ، أن يرى سيريه ، وقد بدرت منه بادرة ، تفضح عما يمكن أن يفيد القضية .

وها هوذا سيريه ، يقف فى أثناء تفتيش غرفة الضيوف ، ثابتا لايتحرك ، هادئا متزنا وقد اسند ظهره للمدفأة .

وكان يراقب ميجريه ، وكانه يتساءل عما يبحث عنـــه هذا الرجل بين أوراقه . ولم يكن اهتمامه بتتبع مايقوم به صادرا عن خوف بقدر ما هو صادر عن ترقب وفضول .

ـ ان مرضاك قليلون ، يا مسيو سيريه .

فلم يتنازل بالاجابة ، وكل ما فعله عندما سمع من المفتش ذلك ان رفع كتفيه فى غير اكتراث .

ـ كما اننى لاحظت أن عدد مرضاك من النســـاء أكثر من الرجال .

ـ وكل ما فعله ردا على ذلك ، أنه حدج المفتش بنظرة كان معناها وماذا عندك بعد ذلك ؟ .

ـ وهاأنذا أرى أن أول مقابلة لك لماريا فان آيرتز كانت بسبب عملك حيث وجد ما يثبت ترددها على الطبيب خمس مرات فى مدى شهرين .

ـ هل كنت تعلم شيئا عن مدى ثرائها ؟ ».

نفس الصمت . ونفس حركة الكتفين ».

ـ هل تعرف الدكتور دوبوك ؟ ».

فاوما برأسه ايجابا .

ـ لقد كان الطبيب الذى اشرف على علاج زوجتك . هل أنت الذى اشرت به عليها ؟ .

واخيرا كانت المعجزة وخرج سيريه عن صمته .

ـ كان الدكتور دوبوك هو الذى يعالج ماريا قبل ان تصبح زوجتى .

ـ وهل كنت تعلم عندما تزوجت بها أنها مريضة بالقلب ؟ ».

ـ أخبرتنى بذلك فعلا .

ـ وهل كانت جادة فيما أخبرتك به ، مما جعلك تشعر بأن حالتها المرضية شديدة ؟ .

ـ تستطيع أن تسأل دوبوك عن ذلك .

ـ لقد كانت زوجتك الأولى مريضـــــة هى الأخرى بالقلب . أليس كذلك ؟ .

ـ ستجد شهادة وفاتها بين الأوراق .

وكان جانفييه اكثر الموجودين ضيقا وتبرما بكل ما حوله . ورحب بوصول الحملة الفنية ، التى رأى فيها عاملا جديدا سيبعث فى المكان الحياة ، ويزيل عنه هذا التوتر والجمود . وما أن سمعوا صوت السيارة وهى تقف بالباب ، حتى خرج ميجريه بنفســــه ليفتحه للقادمين . وقال لويرز هامسا :

ـ قم باجراءاتك كاملة غير منقوصة ، ولا تترك ركنا بدون أن تنعم النظر فيه وتفتشه تفتيشا دقيقا عن أى دليل يخدم القضية ».

وفهم مويرز مايريد أن يصل اليه ميجريه بذلك • وكان قد لمح جيللوم سيريه بقامته المديدة وجسمه الضخم ، فتمتم قائلا :

ـ وهل تظن أن شيئا من ذلك سيحركه ؟ •

ـ قد ينتهى الأمر بأن يحرك أحدا ما عن موضع أقدامه !

وبعد بضع دقائق ، كان كل ما فى البيت قد قلب راسا على عقب ، ولم يترك رجال الحملة الفنيه مكانا الا بحثوا فيه وانعموا النظر فى محتوياته ، ملتقطين صورا فوتوغرافية من هنا وهناك • وعمت الفوضى المكان وساده الهرج • فقلبت المقاعد وتحركت قطع الاثاث عن مواضعها ، وتناثرت الأوراق والمستندات •

ولم يقع نظرهم على السيدة سيريه الا مرة واحدة ، نظرت فيها من فرجة الباب ثم انسحبت آسفة على كل هذا الذى يجرى فى بيتها أما ادجينى فقد اقبلت تزمجر قائلة :

ـ ارجو ان تعيدوا كل شىء الى مكانه • أليس كذلك ؟ •

ولما كانوا فى المطبخ يقلبون ويبحثون قالت :

ـ لو قلتم فقط عم تبحثون ؟ •

وفى الحق أنهم جميعا لم يعرفوا عم يبحثون ! ولم يكن هناك شىء معين يحاولون العثور عليه • حتى ميجريه نفسه لم يكن ليستطيع أن يجيبها • ان كل ماكان يترقبه ويصبو اليه أن يتحرك هذا الرجل الذى كان يتبعهم فى كل مكان وان تبدر منه بادرة تفضح أمره • هذا الرجل الذى تحركت فى بيته كل قطعة من قطع الجماد حتى كادت أحجاره تتحرك ، ولم يتحرك هو أو يهتز •

لماذا نتبت ماريا الى صديقتها بأن سيريه لم يكن بأكثر من صبى يافع ؟! •

وبينما كان رجال ميجريه ، يواصلون القيام بعملهم ، اتصل بالدكتور دوبوك تليفونيا •

هل تسمح بان احضر لمقابلتك ! كلا ، اؤخرك كثيرا ، شكرا ، ساخطر الخادم بمجرد وصولى •

واتجه ميجريه الى منزل دوبوك سيرا على قدميه . وكان يجب أن يمر فى طريقه بحانوت الأدوات المنزلية الذى زاره بالأمس . فاستوقفه الشاب الذى قابله ليلا قائلا :

- أتحضر لتصوير المستند ؟ .
- حالا .

ولما وصل ميجريه الى منزل الدكتور دوبوك ، وجده رجلا قد قارب الخمسين ، ملتحيا ، يضع على عينيه نظارة طبية .

- هل كنت تعالج السيدة سيريه ؟ .
- السيدة سيريه الصغيرة . أو بالأحرى أصغر الاثنتين .
- ألم تشرف على علاج غيرها بالمنزل ؟ .
- فلنتحقق من ذلك . نعم ! عالجت خادما اصيبت بجرح فى يدها منذ عامين أو ثلاثة .
- وهل كانت ماريا سيريه مريضة ؟ .
- نعم . كانت بحاجة الى العلاج .
- قلبها ؟ .
- كان قلبها متضخما . وكانت تكثر من تناول الأطعمة مما لايتفق وحالتها .
- وهل كانت تكثر من استدعائك ؟ .
- مرة فى كل شهر تقريبا . وأحيانا كانت تحضر لمقابلتى هنا .
- وهل اشرت عليها بدواء معين ؟ .
- بأقراص مناسبة لحالتها المرضية .
- وهل يمكن أن تتعرض لأزمة قلبية ؟ .
- هذا أمر بعيد الاحتمال .. ربما فى مدى عشر سنوات أو خمسة عشر .
- ألم تتبع نظاما خاصا لتخفيض وزنها ؟ .
- كانت تقرر ذلك مابين الحين والآخر . ولكنها لم تكن تنفذ ذلك الا مدة أيام قليلة .

ـ وهل كنت تلتقى بزوجها ؟ »

ـ من حين لآخر .

ـ وما هو حكمك عليه ؟ »

ـ من أية ناحية ؟ طبيا ؟ لقد علمت من احدى مرضاى أنها ذهبت اليه تعالج أسنانها فوجدته رجلا على قدر كبير من المهارة والرقة .

ـ كرجل ؟ »

ـ ما هو السر فى كل هذه الأسئلة ؟

ـ لقد اختفت زوجته .

ـ آه ! »

ولاح لميجريه أن دوبوك يتفادى الاستمرار فى تيار الأسئلة التى قد تمس الحقيقة ، بما قال :

ـ ان مثل هذه الأمور تقع كثيرا . أليس كذلك ؟ ولقد اخطأ بما فعله من تكليفه الشرطة البحث عنها . فما أظن انها ستغفر له ذلك .

وفضل ميجريه الا يتمادى فى حديثه مع دوبوك . ورأى أن يعرج فى طريق عودته على الجاراج . ولاحظ انه يقع فى مواجهة احدى العمارات ، حيث وجد الحارسة تقوم بتنظيف مقبض الباب الرئيسى . فسألها :

ـ هل تطل نافذة غرفتك على الشارع ؟ »

ـ وهل هذا من شأنك ؟ .

ـ أنا من ضباط الشرطة . وأردت بسؤالى أن أتبين ما اذا كنت تعرفين شيئا عن الشخص الذى يحتفظ بسيارته فى الجاراج المقابل الأول من اليمين .

ـ انه طبيب الأسنان »

ـ وهل ترينه من وقت لآخر ؟ »

ـ أراه عندما يحضر ليستقل سيارته »

ـ وهل رأيته خلال هذا الاسبوع ؟ »

ـ مهلا ! ان هذا يذكرنى ـ ماهذه الضجة التى كانت فى جاراجه امس مساء ؟ هل سطا عليه اللصوص ؟ لقد قلت لزوجى .

ـ لا . لم يكونوا بلصوص .

ـ وهل كنت أنت ؟ .

ـ لا عليك من ذلك . هل رأيته يستقل سـيارته هذا الاسبوع ؟ .

ـ أعتقد ذلك .

ـ الا تذكرين فى اى يوم ؟ أو فى اى وقت ؟ .

ـ كان ذلك فى احدى الليالى ،وفى وقت متاخر . انتظر .. كنت قد نهضت من فراشى فى ذاك الوقت . لا تنظر الى هكذا . سأتذكر كل شىء .

وبدت وكانها تقوم بعملية حسابية .

ـ كنت قد نهضت من الفراش ، لأن زوجى كان يشكو من الم فى اسنانه . ولو كان هنا ، لأخبرك فى أى يوم كان ذلك . وتصادف عندئذ اننى رأيت مسيو سيريه خارجا بسـيارته من الجاراج . فقلت لنفسى يالها من مصادفة ! .

ـ وذلك لأن زوجك كان يشكو من أسنانه ؟ .

ـ نعم . وفى نفس هذا الوقت أرسلت لنا السماء طبيب أسنان الا أن ذلك كان بعد منتصف الليل . آه .. لقد رأيت الآنسـة جيرمان داخلة . لقد كان ذلك يوم الثلاثاء ، لأنها تذهب كل ثلاثاء للعب الورق مع بعض الأصدقاء .

ـ وهل كان خارجا بالسيارة ؟ أم كان عائدا بها ؟ .

ـ كان خارجا بها ولذلك عدلت عن استدعائه .

ـ وفى أى اتجاه قاد سيارته ؟ .

ـ فى اتجاه السين .

ـ الم تلاحظى أن السيارة توقفت بعد مسيرها بقليل . أمام منزل المسيو سيريه مثلا ؟ .

ـ لم أتتبع خط سيرها • فقد كنت حافية القدمين ولم استطع الوقوف مدة أكثر من ذلك ـ ماذا ينسب اليه ؟ •

وماذا كان بوسع ميجريه أن يجيب به ؟ فشكرها وسار فى طريقه • ثم اجتاز حديقة المنزل وقرع الجرس • وفتحت اوجينى الباب وحدجته بنظرة عتاب قاسية وهى تقول له فى اقتضاب :

ـ انهم فى الطابق العلوى الآن •

اذن فقد انتهوا من الطابق الأرضى • وسمع وقع أقدامهم فى الطابق العلوى • كما سمع صوت تحريك المقاعد وقطع الأثاث •

وارتقى ميجريه فى الدرج الى الطابق الثانى ، حيث وجـد السيدة سيريه جالسة على مقعد فى وسط المكان • فمـا أن وقع بصرها عليه حتى قالت :

ـ لم أعد أدرى أين اذهب • عم يبحثون يامسيو ميجريه ؟ •

اما جيللوم سيريه فكان واقفا فى احدى الغرف يشعل سيجارا جديدا •

ثم سمع ميجريه السيدة سيريه تقول وهى تتنهد :

ـ يا الهى ! لماذا تركناها ترحل عنا ! اذا كنا نعـلم أن •••

ولم تتم ماكانت تريد قوله •

## الفصل السادس

كانت الساعة قد بلغت الرابعة الا عشرين دقيقة عندما حزب ميجريه أمره • وفى تمام الرابعة وخمس وعشرين دقيقه بدأت عملية الاستجواب • غير أن المأساة كانت قد تمت فصولها فى اللحظة التى حزب ميجريه فيها أمره •

ولقد كان سلوك ميجريه مفاجئا لكل من كان يعمل معه فى البيت القائم بشارع دى لانيرم • وكانت تصرفاته مبعثا لدهشتهم جميعا ، منذ أن بدأ كبير المفتشين يدير عملية التفتيش • ولم تكن هذه العملية بأول عملية من نوعها ، يشتركون فيها مع رئيسهم ، الا انها كانت الأولى من نوعها من حيث طبيعة القيام بها ، ومن حيث

نهج أدائها الذى كان يختلف اختلافا بينا عما مداه . وكان جانفييه وهو خير من يعرف رئيسه ، أول من شعر بهذا التغيير .

فقد لاحظ عندما أطلق المفتش يدهم فى مهمتهم التى كلفهم القيام بها ، أنه يشع من عينيه بريق خاطف مشوب بالقســوة والتصميم . فتركهم ، على خلاف عادته ، يعيثون فى البيت فسادا كقطيع من كلاب الصيد . وكان كل مافيه يحرضــهم على ذلك ويدفعهم اليه دفعا .

فهل كان الأمر ، أمرا خاصا بينــه وبين جيللوم سيريه ؟ أو بمعنى أدق : هل كانت الأمور تسير هكذا ، وكان ميجريه يتخذ نفس القرار فى نفس اللحظة ، لو أن رجل شارع دى لافيرم كان أخف ظلا وأخف وزنا ؟ .

لقد بدا ميجريه من أول وهلة ، وهو يترقب الفرصة للايقاع به . ولو لم يكن جانفييه على معرفة تامة برئيسه ، لعزا تصرفاته هذه ، وما كان يراه منه من تشف بما صار اليه البيت من فوضى ، الى أسباب أخرى خفية .

فلم يسبق لهم من قبل أن أعطوا مثل هذه الفرصة للتفتيش فى منزل كان يسوده الهدوء والنظام ، وكأنه محراب مقــدس ، وانقلب كل ما فيه راسا على عقب . ثم لم يخرجوا من ذلك بأى دليل يخدم القضية ، بالرغم من هذه الساعات الطويلة من البحث والتنقيب .

وعندما قرر ميجريه ماقرر فى الساعة الرابعة الا عشرين دقيقة لم تكن عملية التفتيش قد اسفرت عن شىء بعد . بل كان القائمون بذلك قد بدءوا يشعرون بالحرج ، وينتظرون من رئيسهم أن يصدر اليهم أمره بالانسحاب مع تقديم ما يجب من اعتذار ، لمن لحق به كل هذا وتعرض لما تعرض اليه .

فماذا يكون هذا الذى دفع ميجريه لأن يتخذ هذا القرار ؟ أتراه يدرك هذا ؟ لقد ذهبت بجانفييه الظنون كل مذهب ، حتى شك فى أن يكون رئيسه قد أسرف فى الشراب عندما ذهب ليتناول وجبة

تخفيفة فى المقهى المقابل للبيت • وأيد شكوكه انه اشتم من ميجريه رائحة البرنو التى كانت تفوح من فمه .

ولم تقم أوجينى باعداد المائدة لطعام الغداء • وكانت تروح وتغدو هامسة فى اذن كل من السيدة سيريه وولدها • وأخيرا توجهت السيدة الى المطبخ وتناولت طعامها وهى واقفة فى عجلة على حين أحضرت الخادم بعض الشطائر وفنجانا من القهوة للدكتور جيللوم •

ثم وصلوا فى تفتيشهم الى غرف السطح • تلك الغرف التى تعتبر من أكثر الغرف احتواء لكل ماهو شخصى ، أكثر من غرف النوم نفسها •

وقام جانفييه بفتح حقيبتين من الجلد وجد بهما بندقيتين قام بفحصهما احد المختصين بفحص الأسلحة النارية •

ـ هل هما لك ؟ •

ـ كانتا لصهرى • ولم يسبق لى استعمالهما •

وكانوا قد عثروا منذ ساعة على مسدس بغرفة جيللوم ، ضمه ميجريه بعد فحصه ، لمجموعة ما راى أن يحمله معه من أشياء لاعادة فحصها ومضاهاتها •

وكانت هذه الأشياء عبارة عن دفاتر الطبيب ، وبعض شهادات الوفاة الخاصة بالاسرة ومن بينها شهادة وفاة زوجة جيللوم الأولى• كما كان من بينها سترة لاحظ جانفييه أن بها تمزقا طفيفا ، قرر جيللوم انه لم يسبق له ارتداءها منذ عشرة أيام • الى غير ذلك من مثل هذه الأشياء •

واستمروا فى عملهم رغم حلول وقت الغداء • واكتفوا بتناول وجبات خفيفة فى المقهى المقابل كل بدوره • أما مويرز فلم يبرح مكانه واكتفى ببعض الشطائر التى أحضرها له المصور الفوتوغرافى•

وحوالى الساعة الثانية بعد الظهر ، اتصلت الادارة بميجريه لاخطاره بوصول مظروف كبير من هولاندا بطريق الجو • فطلب

اليهم فتحه . واتضح أنه يحتوى على رسائل ماريا المكتوبة باللغة الهولندية .

ـ ابحثوا عمن يقوم بترجمتها فورا .

ـ هنا ؟ .

ـ نعم . مع ملاحظة عدم انصرافه قبل وصولى .

ولم يغير جيللوم سيريه من حالته . وظل يتبعهم فى جميع خطواتهم ، غير تارك اية حركة تصدر عنهم الا أحصاها عليهم كما ظل محافظا على هدوئه وثباته ، لايثيره شىء أو يستفزه تصرف .

وكان يخص ميجريه بنظرات لها معناها . وكان من الواضح البين ، أنه لم يكن يشعر بوجود غيره من رجال الامن العام . لقد كان الشوط سجالا بين الاثنين . وكان الصراع بين شخصين . وكنت ترى فى عينى الطبيب تعبيرا ، لاتدرى أهو نظرة عتاب ولوم أم هو نظرة احتقار وازدراء .

ومهما يكن من أمر ، فان هذا الرجل لم يسمح لكل ذلك بأن يحرك منه ساكنا . ولم يتنازل ليعترض على أى تصرف . ووقف صاغرا يتأمل هذا الغزو لبيته ، وذاك الانتهاك لحرمته ، فى شموخ وعزوف عن أن تبدر عنه بادرة .

ماهى حقيقة هذا الرجل ؟ وماذا تراه يكون ؟ وما هو سند سلوكه هذا ؟ أهو سلوك الرجل الواثق بنفسه ؟ أم هو سلوك الرجل الذى لايدرك حقيقة ماهو فيه ؟ . وهل يتفق هذا مع ماوصفته به ماريا ، من انه ليس بأكثر من صبى يافع ؟ لقد كان رجلا شاحب اللون ، مصفر البشرة ، معتل الصحة ، رغم ضخامة جسمه . وعثرت الحملة على مجموعة كبيرة من روشتات الاطباء ، يرجع تاريخ بعضها الى عشرين عاما . مما يمكن معه الاحاطة التامة بتاريخ الأسرة الطبى ، ومعرفة تطور حالاتها المرضية . كما عثرت الحملة ، علاوة على ذلك ، على أكداس من زجاجات الأدوية مابين قديم وجديد .

وكان جانفييه فى كل مرة يخرج مع زملائه من غرفة الى غرفة أخرى ، يحرص على أن ينظر الى رئيسه بما يعنى :

ـ أو فشل آخر ! •

لأن جانفييه كان لايزال يراوده الأمل فى الكشف عن دليل جديد • فهل كان ميجريه من ناحية أخرى يرغب فى العكس ؟ وذلك لأنه لم تبد عليه الدهشة فى أية مرحلة من مراحل فشلهم ، وهو يراقبهم فى هدوء ، مدخنا غليونه فى تراخى الكسل • وكثيرا ماكان ينسى ان يلقى بنظرة صوب طبيب الاسنان فترة تربو على ربع ساعة •

واخيرا هبطوا جميعا الى الطابق الارضى بعد أن انتهوا من عملهم • وتبعهم جيللوم سيريه ، وخرجت والدته تطل عليهم من أعلى الدرج تتراهم فى انصرافهم ووقفوا جميعا فى حالة بادية من القلق وقد أحاطت بهم آثار اعمالهم •

ونظر ميجريه الى سيريه ، فى هدوء غير مصطنع ، قائلا :

ـ هل تسمح باستكمال ارتداء ملابسك ؟ •

وفهم سيريه ما يعنيه ذلك • فحملق فى وجهه مندهشا ، محاولا الا تفضحه خلجات وجهه . وهمت والدته بالكلام ، سواء أكان ذلك لتحتج او لتطلب ايضاحا • فلم يدعها جيللوم تتم ما ازمعت الجهر به ، فأمسك بذراعها واتجه بها الى غرفتها .

وسأل جانفييه رئيسه هامسا :

ـ أو تلقى القبض عليه ؟ •

ولم يجبه ميجريه بشيء . لانه هو الآخر لم يكن يعرف . وفى الحق انه لم يكن قد قرر ذلك ، الا فى نفس تلك اللحظة التى طلب الى سيريه فيها أن يستكمل ارتداء ملابسه •

***

ـ ادخل يامسيو سيريه • هلا تفضلت بالجلوس ؟ »

وكانت الساعة حينئذ قد اتمت الدقيقة الخامسة والعشرين بعد الرابعة وكان اليوم يوم سبت • وقام كبير المفتشين الى البــاب فاغلقه • أما النافذة فتركها مفتوحة • وعاد بعد ذلك الى مقعده امام مكتبه وهو يقول للطبيب :

ـ لقد طلبت منك ان تجلس »

ومرت عشر دقائق لم ينطق ميجريه فيهـا بكلمة ؛ بل شغل نفسه بالتوقيع على بعض الاوراق التى كانت موضوعة فوق مكتبه وبعد ان انتهى من ذلك استدعى جوزيف وسلمه الاوراق • ثم اخذ يعد غلايينه العديدة فى هدوء متعمد ، ويملؤها بما يلزم من تبغ »

ولم يكن من الطبيعى ، لشخص فى مثل موقف سيريه ، ان يطيق ذلك ، ولا يفقد أعصابه ، وأن يجلس فى هـــدوء منتظرا ما سيوجه اليه من أسئلة •

واخيرا طرق بعضهم الباب ، ثم دخل المصور الفوتوغرافى الذى كان يشترك معهم فى العمل طوال اليوم ، والذى كلفه ميجريه مهمة ما ، وسلم كبير المفتشين مستندا حديث التحميض •

ـ شكرا يادامبو • لاتترك مكتبك حتى تخطرنى بذلك »

وانتظر حتى خرج المصور ، ثم اشعل غليونه :

ـ هل لك فى أن تقترب بمقعدك قليلا ، يا مسيو سيريه ؟ »

وجلس كل منهما فى مواجهة الآخر • ولم يكن ليفصـــلهما الا مكتب ميجريه • وقام هذا بتسليم المستند لسيريه دون تعليق• فقام بفحصه بكل عناية ثم وضعه على المكتب بعد أن انتهى من الاطلاع عليه •

ـ انى أنتظر •

ـ ليس لدى ما أقوله »

وكان هذا المستند ، صورة طبق الأصل لاحدى صفحات دفتر مخزن الأدوات المنزلية • وهى الصفحة الوارد بها واقعة بيع لوح

الزجاج والمعجون في الدفعة الثانية ؟

- هل تدرك مايعنيه هذا ؟ .

- هل أفهم من ذلك أنك تتهمني ؟ ؟

فتردد ميجريه قليلا . ثم استقر على مايجيب به قائلا :

- لا . انك مدعو بصفة رسمية لسماع أقوالك كشاهد . ومع ذلك فانني مستعد ان أوجه التهمة اليك اذا كانت هذه هي رغبتك. أو بمعنى أدق ، أن أصر النائب العام أن يوجه اليك الاتهام ، الامر الذي يعطيك الحق في ان تستشير أحد المحامين .

- سبق أن قلت لك أنني لست بحاجة الى محام .

كان الحديث السابق ، بمثابة الخطوات الأولى فقط . الخطوات الأولى بين بطلين من الوزن الثقيل ، يقيس بها كل منهما كفاية الآخر في هذه الغرفة التي أصبحت حلقة للصراع بينهما . وهناك في الغرفة الاخرى ، التي كان يجلس فيها جانفييه بين زملائه ، دار هذا الحديث ، عقب فترة الصمت التي رانت عليهم ، بعد أن استمعوا لما سرده عليهم زميلهم ، الذي قطعه بقوله :

- أراهن ان أمامنا شوطا لايستهان به ! ؟

- هل تظن أن الرئيس قد بدأ ؟ .

- نعم . لقد قرأت ذلك في وجهه .

وكانوا جميعا يعرفون معنى ذلك بالنسبة اليهم . وكان جانفييه أول من اتصل منهم بزوجته ، ليخطرها باحتمال عدم عودته لمنزله هذا المساء .

- مسيو سيريه ! هل تشكو من ضعف في القلب ؟

- تضخم في القلب . ويحتمل أن تشكو انت من ذلك أيضا ؟

- لقد توفي والدك نتيجة لضعف في قلبه عندما كنت في سن السابعة ، أليس كذلك ؟ .

- السابعة عشرة والنصف .

- وقد توفيت زوجتك الاولى نتيجة لضعف في قلبها كما كانت زوجتك الثانية تشكو أيضا من ضعف قلبها .

ـ اذا ماراجعنا الاحصاءات ، وجدنا أن ٣٠ ٪ تقريبا يموتون نتيجة لهبوط فى القلب .
ـ هل امنت على حياتك يامسيو سيريه ؟ .
ـ منذ كنت طفلا .
ـ هذا صحيح .. لقد اطلعت على وثيقة التامين ، وعلى ماأذكر أعتقد أن والدتك لم تؤمن على حياتها .
ـ هذا صحيح .
ـ وهل كان والدك مؤمنا على حياته ؟ .
ـ أعتقد ذلك .
ـ وزوجتك الاولى ؟
ـ لقد رأيتك تأخذ المستندات التى تخصها معك .
ـ وزوجتك الثانية هى الاخرى كانت تؤمن على حياتها ؟
ـ ان هذا اجراء طبيعى .
ـ ان غير الطبيعى ، أن يحتفظ الانسان بمبلغ طائل يتجاوز عدة ملايين من الفرنكات الذهبيـــة والعمـــلة الورقية فى خزانة بيته .
ـ هل ترى ذلك ؟
ـ أو يمكن أن تفسر لى ، لماذا تحتفظ بمبلغ كهذا فى بيتك ، مضحيا بما قد يعود عليك من فائدة اذا ماأودعته البنوك ؟
ـ لا اظن الا أن الآلاف من الناس ، لفاعلة ذلك ، فى أيامنا هذه ، او نسيت الضرائب الباهظة ، وتخفيض قيمة العملة .. الى غير ذلك مما يمر بنا فى هذه الايام من ...
ـ اعرف ذلك ، اذن فانت تعترف بانك قصدت بتصرفك هذا اخفاء ماتملك والتهرب من الضرائب اضرارا بخزانة الدولة ؟
والتزم سيرية جانب الصمت .
ـ وهل كانت زوجتك ـ اعنى زوجتك الثانية ماريا ـ تعلم بأنك تحتفظ بهذا المبلغ فى بيتك ؟ .
ـ نعم .

ـ وهل علمت منك أنت بذلك ؟ .

ـ لقد كانت تحتفظ بمبالغ تخصها مع مايخصني حتى أيام قليلة .

وكان يتخير ألفاظه وهو يقول ذلك ، كما كان ينطق بكل كلمة واحدة بعد أخرى فى روية وفى أناة ، محدقا بعينيه فى وجه كبير المفتشين فى اشفاق وحيرة .

ـ لم أجد بين أوراقك عقد زواج ، أو يمكن أن استنتج من ذلك انكما تزوجتما فى ظل قوانين التملك المشترك ؟ .

ـ هذا ماحدث فعلا .

ـ ألا يبدو هذا عجيبا بالنسبة لسن كل منكما ؟ .

ـ لقد بينت لك السبب فى ذلك ، ان العقد كان يعنى بالنسبة لنا ، التزام كل منا باستخراج كشف حساب بما لنا وما علينا لاعلانه مع العقد .

ـ ومع ذلك ، فان التملك المشترك (اختلاط الذمة) ، ليس له فى الواقع حقيقة عملية .

ـ لقد أحتفظ كل منا بحق اطلاق يده فى شئونه الخاصة .

ـ أولا يبدو كل ذلك طبيعيا لاغرابة فيه .

ـ هل كانت زوجتك من الاثرياء ؟ .

ـ ولا زالت تعد من الاثرياء .

ـ هل يعتبر ثراؤها فى مستوى ثرائك ، أو أكثر ؟ .

ـ فى مستوى واحد تقريبا .

ـ وهل تحتفظ بكل أموالها فى فرنسا ؟

ـ بالبعض منها فقط ، فقد ورثت عن والدها حصة فى مصنع للجبن بهولاندا .

ـ فى أية صورة كانت تحتفظ بما تملك عدا ذلك ؟

ـ كانت تحتفظ به ذهبا .

ـ حتى قبل أن تلتقى بك ؟

= أستطيع أن أتبين ماترمى اليه . ومهما يكن من أمر فسأصرح لك بالحقيقة : انى أشرت عليها ببيع كل ماتملك من سندات وأسهم ، وبأن تشترى بثمنها ذهبا .

ـ وهل احتفظت بهذا الذهب مع ما تحتفظ به انت فى الخزانة ؟
= نعم .. بحسب ماكان .

ـ ما كان حتى متى ؟ .
ـ حتى يوم الثلاثاء ، اذ انها بعد ظهر ذلك اليوم ، وبعد ان كادت تفرغ من اعداد حقائبها ، حضرت الى حيث كنت بالطابق الارضى وسلمتها كل مايخصها .

ـ اذن فقد كان هذا المبلغ ، عندما رحلت ، ضمن ما كان فى احدى حقيبتيها أو فى الصندوق ؟ .
ـ هذا هو المفروض .
= هل تركت المنزل قبل العشاء ؟
ـ لم أسمع أنها خرجت .
= اذن فهى لم تخرج بناء على معلوماتك ؟ .
فأومأ براسه مؤكدا .
= ألم تستعمل التليفون ؟

ـ التليفون الوحيد الموجود بالمنزل بحجرة مكتبى ، وهى لم تحاول استعماله .

ـ وكيف يمكن ان أتأكد من أن ماوجدته من اموال بالخزانة هو لك وحدك ، وانه لايخصكما معا ؟ .

ودون أن ينفعل ، أو يغير من تعابير وجهه التى تنطق بكل معانى الضيق والازدراء ، أخرج الطبيب من جيبه مفكرة خضراء اللون ، قدمها لكبير المفتشين الذى وجد بصفحاتها أرقاما مكتوبة بخط أنيق ، وكانت هذه الارقام مدرجة فى عامودين يعلو العمود الاول حرف (ل) ويعلو الثانى حرف (م) .
= ماذا يعنى حرف (ل) ؟ .

ـ لنا ، اى مايخص والدتى ويخصنى ، لاننا نشترك فى كل شىء طوال حياتنا دون تفرقة أو تمييز بين مالى ومالها .

ـ وحرف ( م ) فيما أرى ، يشير الى ماريا .

ـ تماما .

ـ ألاحظ أن هناك رقما يتكرر بانتظام .

ـ هذا الرقم يشير الى نصيبها فى نفقات المنزل؟ .

ـ أو كانت تدفع لك فى كل شهر تكاليف اقامتها وطعامها ؟

ـ هذا اذا شئت أن تعتبره كذلك ، وفى الواقع أنها لم تكن تدفع لى شيئا ، لان جميع ماتملك من نقود كان موضوعا فى الخزانة الا أن رصيدها كان ينقص بمقدار هذا المبلغ .

واخذ ميجريه بعد ذلك يتصفح ماورد بالمفكرة ويقلب اوراقها دون أن يتكلم ، ثم نهض عن مقعده واتجه الى الغرفة المجـــاورة لغرفته ، حيث كان يجلس رجال المباحث ، الذين تظاهروا بأنهم منهمكون فى اعمالهم ، تماما كصبية المـــدارس عندما يفاجئهـــم أستاذهم .

وأصدر بعض التعليمات والاوامر الى جانفييه بصوت منخفض، ثم عاد أدراجه الى غرفته ، حيث وجد سيريه ، لم يزل جالسا على مقعده لم يتحرك ، وفى يده سيجار أشعله حديثا ، فتمتم عندما عاد ميجريه ليجلس الى مكتبه :

ـ هل تسمح ؟

فرفع ميجريه كتفيه وكانه اراد ان يقول ان هذا لا يعنيه .

ـ هل فكرت فى موضوع شرائك لزجاج النافذة للمرة الثانية ياسيو سيريه ؟

ـ لم أكلف نفسى عناء التفكير فى هذا .

ـ أنا لاأوافقك على ذلك ، يحسن بك أن تجد تعليلا معقولا لهذا الموضوع .

ـ لاننى لست بحاجة لان ...

ـ أو مازلت مصرا على ترديد ما سبق أن تحدثت به من أنك لم تصلح زجاج نافذة غرفة مكتبك الا مرة واحدة ؟ •
ـ في اليوم التالي لقيام العاصفة •

ـ أو تحب ان نثبت لك عن طريق مصلحة الارصاد الجوية انه لم تكن هناك أية عاصفة جوية يوم الثلاثاء ليلا بناحية نويللى •

ـ لست ارى داعيا لذلك ؛ اللهم الا اذا كنت ترغب فى ذلك ؛ لاننى اقصد بما اقول عن العاصفة تلك التى هبت فى الاسبوع الماضى ولست أرى فيما قلت اى لبس •

ـ لقد توجهت فى اليوم التالى لهبوب العاصفة الى المتجر الكائن بشارع دى لونجشامب واشتريت لوحا من الزجاج وقــدرا من المعجون •
ـ وهذا ما تحدثت به فعلا •
ـ هل تقسم أنك لم تتوجه الى هذا المتجر بعد هذه المرة ؟

ثم دفع بالصورة الفوتوغرافية للمستند السابق عرضها عليــه مستطردا :

ـ فسر لى الدافع للقائمين على أمر هذا المتجر ، حتى يثبتوا هذه بأوراقهم ؟ •
ـ لست أجد لذلك تفسيرا •

ـ ولماذا يقرر مدير المتجر أنك توجهت اليه صباح الاربعاء حوالى الساعة الثامنة ، اذا لم تكن قد ذهبت اليه فعلا ؟

ـ لست مسئولا عما يقرره •
ـ متى استعملت سيارتك آخر مرة ؟
ـ يوم الاحد الماضى •
ـ والى أين ذهبت بها ؟
ـ من عادتنا انا ووالدتى ، أن نخرج بالسيارة كل أحد ، مدة ساعتين او ثلاث ، لنجول بها قليلا •
ـ والى أى مكان اتجهتما فى هذه المرة ؟

= سرنا في طريق غابة فونتنبلو »

ـ وهل كانت زوجتك معكما ؟ »

ـ لا لانها كانت منحرفة المزاج .

ـ وهل كان الانفصال قد تقرر بينكما ؟

= لم يكن لذلك علاقة بامر الانفصال ، ثم انه لم يكن هنــاك انفصال بمعنى الكلمة ، كل مافى الامر انها كانت متعبة وفى حاجة الى بعض التغيير لانها لم تكن على وفاق مع والدتى . ولقد اجتمعت كلمتنا على انه قد يكون من الاوفق لها أن تعود الى وطنها عـدة أسابيع او شهور .

ـ ومع ذلك سحبت جميع نقودها معها ؟

ـ نعم .

= ولماذا ؟

ـ لانه كان من المحتمل الا تعود ، اننا لم نعد بعد أطفــالا ، وبوسعنا أن نأخذ الحياة مأخذ الجد فى تعقل وهدوء ، وما الحياة الا تجارب .

ـ خبرنى يامسيو سيريه ، من المعروف ان هناك منفذين على الحدود للوصول عن طريقهما الى امستردام ، اليس كذلك ؟ ومن المسلم به ان رجال الجمــارك الفرنسيين لايتساهلون فى تطبيق قوانين النقد ، فكيف لم تخش زوجتك أمرها بما معها من ذهب وما تعلمه مما يستتبعه ذلك ؟ .

ـ أيتعين على أن اجيب عن هذا السؤال ؟

= أعتقد أن هذا يكون من الأفضل لك »

ـ حتى ولو كان فى اجابتى ما اخاطر به من مخالفة للقوانين والاجراءات ؟

ـ مهما كانت عقوبة هذه المخالفة ، فهى أقل جدية من اتهامك بارتكابك جريمة القتل .

ـ حسنا ، ان احــدى حقائب زوجتى كانت مزودة بقاع سحرى .

ـ وهل اعد ذلك من أجل هذه الرحلة فقط ؟

ـ لا .

ـ وهل استعملت هذه الطريقة من قبل ؟

ـ عدة مرات .

ـ ولتمر بها من الحدود ؟ »

ـ الحدود البلجيكية ، وفي مرة الحدود السويسرية ، وانا واثق بعلمك انه حتى وقت قريب ، كان الحصول على الذهب فى بلجيكا وفي سويسرا بالذات ، أكثر يسرا واقل في التكاليف مما هو فى غيرها من البلاد .

ـ وهل تعترف باشتراكك فى هذه العمليات ؟

ـ أعترف .

وعندئذ نهض ميجريه عن مقعده واتجه للغرفة المجاورة .»

ـ جانفييه . هل لك فى أن تنضم الينا لحظة ؟

فلما عاد بصحبة جانفييه قال لسيريه :

ـ سيسجل مساعدى هذا الجزء من مقابلتنا . ارجو ان تعيدها على مسامعه حرفيا كل مااخبرتنى به .

ثم قال لجانفييه :

ـ وليوقع بامضائه على أقواله بعد اثباتها .»

ثم ترك ميجريه الغرفة ، الى حيث طلب من فاشيه أن يدله على الغرفة التى خصصت للمترجم . ووجده رجلا ضئيل الجسم يضع على عينيه نظارتين ، يؤدى ماعهد به اليه من ترجمة للرسائل بكتابتها على الآلة الكاتبة فورا ، متوقفا بين الفترة والاخرى ليراجع كلمة بالقاموس الذى أحضره معه .

ولاحظ ميجريه ان عدد الرسائل يقارب الاربعين رسالة ، يتضمن معظمها عدة صفحات .

ـ من أين بدأت ؟

ـ من أولها . لقد وصلت الى الثالثة . وتلك الرسائل الثلاث مؤرخة منذ عامين ونصف . ففى أولاها تخبر السيدة صديقتها

بأنها ستتزوج وأن زوجها رجل مرموق ، قوى الشخصية ، ينتمى الى طبقة مهنية سامية . وأن والدته أقرب ماتكون شبها باحدى تلك اللوحات التى شاهدتها باللوفر ، وساخبرك باسم صاحب اللوحة .

ثم قلب الصفحات قائلا :

ـ كلوبت . انها تشير فى رسائلها دائما الى اللوحات . فاذا ما تحدثت عن الطقس مثلا ، ذكرت اسم مونيه اورينوار .

ـ افضل من الآن أن تبدأ بترجمة الرسائل من آخر رسالة .

ـ كما تريد . انك تعرف طبعا ، اننى اذا قضيت طول الليل فى هذا العمل ، فاننى لن أنتهى منه قبل صباح الغد ؟ .

ـ ولذلك سألتك أن تبدأ من آخر رسالة . ما هو تاريخ الرسالة الاخيرة ؟ .

ـ يوم الاحد الماضى .

ـ هل يمكن أن تعيد تلاوتها مترجمة الآن ؟

ـ يمكن ان اعطيك فكرة عنها . انتظر لحظة .

ـ عزيزتى جرترود ،

ـ « لم تكن باريس فى مثل روعتها هذا الصباح ، وكنت على وشك الخروج مع ج ووالدته للتمتع بغابة فونتنبلو وبما فيها من .... » .

ـ هل هناك الكثير من هذا القبيل ؟

ـ هل اترك سرد هذا الوصف ؟

ـ ارجوك .

ـ فشرع الرجل يمر بعينيه سر الكرام على مثل هذه الصفحات حتى قال اخيرا :

ـ اليك ما تبقى :

ـ وانى لاتساءل عما ساشعر به عند عودتى الى هولندا والى

ظلالها المورقة وعما سيكون لها من اثر فى نفسى . وانك لتجدينني كلما اقتربت من هذا اليوم ، ازدادت خشيتى منه .

« ولعلك تعجبين من قولى هذا . وتتساءلين ، بعد كل ماحدثتك به عن ج وعن والدته ، عن السبب فى شعورى هذا ، وعما طرأ واستجد ليباعد بينى وبين ما كنت أشعر به من سعادة لمجرد التفكير فى عودتى .

ـ ولعل مرجع ذلك الى الحلم الذى رأيته فى نومى ، والذى اقض مضجعى وافسد على يومى . الا زلت تذكرين هذه اللوحة الصغيرة التى شاهدناها معا فى متحف لاهاى ، وشعرنا بالخجل ونحن نتاملها ؟ ان صاحبها غير معروف لانه لم يوقعها . الا انها تنسب الى احد الرسامين من مدرسة فلورنتين والذى لم اعد اذكر اسمه الآن . الا تذكرين ؟ انها رسم لرجل من رجال الغابات الخرافيين وقد حمل على كتفه امراة ظهر من حركاتها انها تقاومه. لعلك تذكرين الآن ؟

ـ لقد كان وجه هذا الرجل هو وجه ج ، وكانت تعابير وجهه من القسوة بحيث ارهبتنى ، ووجدتنى استيقظ من نومى وانا استحم فى عرقى وارتجف فرقا .

ـ ولعل ما يدعو للعجب حقا ، اننى عندما استيقظت من نومى ، وجدتنى فريسة لفكر مشوش ، اختلط فيه الخوف بشعور آخر ، لست ادرى كنهه ، افضل ان ارجىء شرحه لك عند ما كنا نجلس لنتحدث فى مختلف الموضوعات .

ـ لقد تقرر ان ارحل يوم الثلاثاء ليلا . وهو تاريخ محدد لا جدال فيه . ومن ذلك ترين انه لم يعد امامنا الا يومان ، ثم يتم اللقاء . واننى لاراه بعيدا بالرغم من ذلك . وساكون مشغولة فيما لدى من اعداد وترتيب ، الامر الذى ارجو ان يهون من طول هذه المدة .

ـ وينتابنى شعور احيانا ، وبالذات بعد هذا الحلم ، بانه سيقع ما يكون من شانه ان يحول دون رحيلى »

ـ لا تقلقى . ان قرارى نهائى . وسأعمل بنصيحتك . فلم أعد استطيع تحمل هذه الحياة بعد . ولكن .

ـ هل انت هنا ، يا سيدى الرئيس ؟

وكان القادم جانفييه بعدة أوراق فى يده .

ـ لقد تم كل شىء . انه ينتظرك .

فتناول ميجرية الاوراق ، وترك المترجم ليواصل عمله ، وعاد الى غرفة مكتبه وقد استغرق فى تفكير عميق .

ولم يكن من المستطاع حينئذ ، ان يتنبأ احد ، بما سيقتضيه هذا الاستجواب من وقت . وما ان دخل كبير المفتشين الغرفة حتى حول جيللوم سيريه عينيه فى اتجاهه ، وامسك بقلم مستفسرا .

ـ اظن ان الامر يستلزم توقيعى ؟

ـ نعم ، هنا . هل راجعت أقوالك ؟

ـ نعم . هل يضايقك أن اطلب كوبا من الماء ؟

ـ الا تفضل كأسا من النبيذ الاحمر ؟

فتامله الطبيب مبتسما . ابتسامة كلها تهكم ومرارة . ثم قال له بازدراء :

ـ اوهذا ايضا ؟

ـ وهذا ايضا يا مسيو سيريه . لقد بلغ بك الحال ، انك كنت تتعاطى الخمر خفية خوفا من والدتك .

ـ اوسؤال آخر يتعين على ان اجيب عنه ؟

ـ هذا اذا رغبت فى ذلك .

اذن فلتسمح لى بأن اخبرك بأن جدى لوالدتى كان سكيرا . وكذلك كان حال شقيقى ووالدتى قبل وفاتهما . وبأن خالتى قضت آخر أيام حياتها فى مصحة للأمراض العقلية . الامر الذى ترتب عليه ، ان والدتى تعيش فى خوف من ان أسلك مسلكهم . لانها تعتقد ان هذا الميل ميل وراثى . لذلك كانت تنتظر عودتى عندما كنت طالبا . وليس للخمر دور فى حياتنا المنزلية ، وان كنا نحتفظ

فى القبــو بكميات كثيرة من النبيــذ . وكانت تحتفظ دائمــا معها بمفتاح هذا القبو .

ــ انها لا تسمح لك باكثر من كأس من النبيذ الممزوج بالمـاء مع كل وجبة غداء أليس كذلك ؟

ــ انا اعرف انها جاءت الى هنا لزيارتك والتحدث اليك .

ــ وهل اخبرتك بما قالته لى ؟

ــ نعم .

ــ هل انت شديد التعلق بوالدتك يا مسيو سيريه ؟

ــ اننا قضينا معظم أيام حياتنا معا .

اقرب شبها بحياة زوجين متلازمين ؟

فاحمر وجهه قليلا وهو يقول :

ــ لا افهم ماذا تعنيه بقولك هذا ؟

ــ هل تشعر والدتك بالغيرة ؟

ــ عفوا ، ما ذا تقول ؟

ــ انى أسالك عما اذا كانت والدتك ، كما يحدث غالبا ، تغار من كل من يتصل بك . وهل لك أصدقاء ؟

ــ وهل لهذا علاقة ما ، بما يقال عن اختفاء زوجتى ؟

ــ اننى لم اعثر عند التفتيش على خطاب واحد مما يتبــادله الاصدقاء . ولا على صورة من تلك الصور الفوتوغرافية التى تجمع بين الاصدقاء والتى يصادفها الانسـان فى كل بيت تقريبا .

ولاذ الطبيب بالصمت ولم يعقب .

ــ كما اننى لم أعثر على صورة لزوجتك الاولى .

وواصل الطبيب اخلاده الى الصمت .

ــ واليك شيئا آخر ادهشنى يا مسيو سيريه . الصــــورة المثبتة على الجـدار فوق المدفأة ، التى ارجح انها صــورة جدك لوالدتك .

ــ نعم .

ـ الجد الذى أدمن الشراب ؟
ـ نعم .
ـ وفى كل درج كنت أجد صورا لأفراد الأسرة من رجال ونساء مع والدتك . وفى الوقت نفسه لم أجد صورة واحدة لوالدك أو لأحد من أفراد أسرته . ألم تلاحظ ذلك وتندهش له ؟
ـ لم يدر بخلدى شىء من ذلك .
ـ هل أعدمت هذه الصور بعد وفاة والدك ؟
ـ بوسع والدتى أن تجيب عن ذلك بأحسن مما أجيب به أنا .
ـ ألا تذكر شيئا عن ذلك ؟
ـ لقد كنت فى سن مبكرة .
ـ لقد كنت فى السابعة عشرة من عمرك عندما توفى والدك . فماذا تذكر عنه يا مسيو سيريه ؟
ـ وهل يستتبع استجوابك لى أن تسألنى عن هذا ؟
ـ لعلك ترى أننا لا نثبت شيئا من هذا الاستجواب . لقد كان والدك محاميا ؟
ـ نعم .
ـ هل كان يتولى عمله بنفسه شخصيا ؟
ـ لم يكن ذلك بصفة مستديمة . فقد كان وكيل مكتبه يقوم بمعظم العمل .
ـ هل كان رجلا اجتماعيا . أم كان يقتصر فى ذلك على دائرة الأسرة ؟
ـ لقد كان كثير الاتصالات والأصدقاء .
ـ هل كانت له صديقات ؟
ـ لا أستطيع أن أصرح لك بشىء من هذا القبيل .
ـ هل توفى وهو ملازم الفراش ؟
ـ فاجأه الموت وهو يصعد فى الدرج الى غرفته .
ـ هل كنت بالمنزل حينئذ ؟

ـ لا . كنت بالخارج . فلما عدت للمنزل كان قد توفى منذ ساعتين .

ـ ومن الذى تولى أمره ؟

ـ الدكتور دوبيللو .

ـ وهل ما زال على قيد الحياة ؟

ـ لقد توفى منذ عشر سنوات .

ـ وهل حضرت وفاة زوجتك الاولى ؟

وما أن سمع ذلك حتى زوى ما بين حاجبيه ، وحدج ميجريه بنظرة ثابتة ، وقلب شفته السفلى بما يؤكد ما يعتمل فى نفسه من تأفف .

ـ أرجو أن تجيبنى عما أسالك عنه .

ـ كنت فى البيت .

ـ فى أى مكان منه ؟

ـ فى غرفة مكتبى .

ـ كم كانت الساعة حينئذ ؟

ـ حوالى التاسعة مساء .

ـ وهل كانت زوجتك فى غرفتها ؟

ـ لقد لزمت غرفتها مبكرة ، لانها كانت متعبة .

ـ وهل فاجاها المرض قبل ذلك بقليل ؟

ـ لست اذكر .

ـ هل كانت والدتك معها حينئذ ؟

ـ كانت والدتى بالطابق العلوى هى الاخرى .

ـ معها ؟ ملازمة لها ؟

ـ لا اعرف .

ـ وهل والدتك هى التى قامت باستدعائك ؟

ـ اعتقد ذلك .

ـ وهل كانت زوجتك ميتة عندما دخلت غرفتها ؟

ـ لا .

ـ وهل توفيت بعد ذلك بفترة طويلة .

ـ بعد عشرين دقيقة تقريبا . وكان الطبيب يقرع الباب حينئذ .

ـ اى طبيب ؟

ـ الدكتور دوتيللو .

ـ وهل كان دوتيللو هو طبيب العائلة ؟

ـ كان يتولى أمر علاجى مذ كنت طفلا صغيرا .

ـ اكان صديقا لوالدك ؟

ـ لوالدتى .

ـ وهل رزق باطفال ؟

ـ باثنين أو ثلاثة .

ـ وهل انقطعت كل صلة لك بهم ؟

ـ لم يسبق لى أن اتصلت بهم شخصيا حتى أفقد الرهم .

ـ لماذا لم تخطر الشرطة ان أحدا قد حاول سرقة ما في خزانتك ؟

ـ لم يكن هناك ما اخطر به الشرطة .

ـ ماذا فعلت بالادوات ؟ .

ـ اية ادوات ؟

ـ تلك الأدوات التى خلفها اللص وراءه عندما لاذ بالفرار .

ـ لم يسبق لى ان رايت لصا او معداته .

ـ الم تستعمل سيارتك يوم الثلاثاء ليلا او الاربعاء صباحا ؟

ـ لا . لم يحدث ذلك .

ـ الم تشك فى أن أحدا غيرك قد استعملها ؟

ـ لم يستجد ما يدعو لان اتوجه الى الجاراج بعد ذلك التاريخ .

ــ عندما أودعت سيارتك الجاراج ، يوم الاحد الماضى ؟ هل لاحظت وجود خدوش بالصندوق الخلفى ، او بالرفرف من اليمين ؟

ــ لم الاحظ شيئا من ذلك .

ــ هل تركتما السيارة ، أنت او والدتك ؟

ولم يجب الطبيب بشيء .

ــ لقد وجهت اليك سؤالا .

ــ وانا احاول ان اتذكر .

ــ انه لن يصعب عليك ذلك . لقد كنت تقود السيارة على مدى الطريق الى فونتنبلو . فهل تركتماها وسرتما على الاقدام قليلا ؟

ــ نعم . لقد قمنا بجولة فى الريف .

ــ تقصد فى طريق ريفى ؟

ــ نعم . فى طريق ضيق يمر بين الحقول على يمين الطريق العام .

ــ هل يمكن أن تدلنا على هذا الطريق الضيق ؟

ــ يمكن ان أرشدكم اليه .

ــ وهل كان هذا الطريق مغطى بطبقة من الاسفلت ؟

ــ لا اعتقد ذلك . لا . فهذا امر مستبعد .

ــ أين زوجتك يا مسيو سيريه ؟

وقام كبير المفتشين عن مقعده ، غير منتظر ردا . بل استطرد قائلا :

ــ لأننا يجب ان نجدها ، أليس كذلك ؟

## الفصل السابع

وعندما اشرفت الساعة على الخامسة ، كان جالفييه داخلا غرفة ميجريه ، بناء على استدعائه له . وقام الاخير بغلق نافذة الغرفة برغم حرارة الجو ، بسبب شدة الضوضاء المنبعثة من الخارج .

وفي تمام الساعة السادسة الا عشر دقائق ، خرج ميجريه من غرفة مكتبه بعد أن قال لجانفييه :

ـ انها مهمتك الآن !

وكان الآخير وزملاؤه ، على علم تام بكل ما ستتطور اليه الامور ، مثل تلك اللحظة التى اصدر كبير المفتشين فيها أمره لسيريه بان يصحبهم ، عندما كانوا بشارع دى لافيرم . كما كان جالفييه على ثقة تامة ، بان سيريه لن يستطيع ان يخرج من ادارة الامن العام بسهولة كما دخلها . ولم يكن ليثير دهشته غير صدور القرار عن رئيسه صدورا مفاجئا ، دون أن ينتظر استكمال جمع الأدلة بين يديه .

ـ انها بغرفة الانتظار .

ـ من ؟

ـ الام .

وامر ميجريه ، الشرطى السرى ماركلييه ، الذى يتقن فن الاختزال ، بالوقوف خلف الباب . ثم استفسر منه جالفييه قائلا :

ـ نفس الأسئلة ؟

ـ نفس الأسئلة . وغيرها مما قد يتبادر الى ذهنك .

وكانت الفكرة هى تحطيم اعصاب طبيب الاسنان . ولن يتأتى لهم ذلك الا بتناوبهم واحدا بعد الاخر في عملية استجوابه ، بعد نقله الى غرفتهم .

وبقى ميجريه في غرفته وعلى مقعده ، ليواصل عمله باستدعاء المترجم ، الذى ما أن أقبل عليه حتى بادره مستوضحا :

ـ فلنتبين ماكانت تتحدث به في رسائلها ؟

ـ قمت بترجمة الرسائل الاربع الاخيرة . ولقد صادفتنى
افقرة فى الرسالة قبل الأخيرة ، وجدت فيها ماقد يثير اهتمامك .

ـ لقد استقر بى الرأى اخيرا ، يامريزى جرترود . ولازلت
اتساءل فيما بينى وبين نفسى كيف حدث ذلك ، الا انه لم تصادفنى
احلام فى الليلة الماضية ، وان كانت صادفتنى ، فقد نسيتها .

ـ هل ذكرت الكثير عن احلامها ؟

ـ نعم . رددت ذكر الكثير منها .

ـ هات ماعندك .

ـ لطالما سألتنى عما طرأ على من تغيير ، ولطالما أجبتك بانك
تتخيلين من الأمور مالبس له وجود ، وبأننى سعيدة هانئة . وفى
الحق اننى كنت احاول ان اقنع نفسى بذلك .

ـ ولقد بذلت أقصى مافى وسعى ، مدى عامين ونصف ، لأقنع
نفسى مخلصة بأننى اعيش فى بيتى ، وبأن ج كان زوجى .

ـ ولكننى كنت أشعر فى قرارة نفسى ، كما ترين ، بان ذلك
كان بعيدا كل البعد عن الحقيقة ، وباننى كنت قريبة هنا ، واكثر
قربة مما كنت فى هذا الفندق الذى تعرفينه ، والذى امضينا فيه
معا ساعات من العمر سعيدة .

ـ فكيف وصل بى الحال الى ماوصلت اليه ؟ وكيف رايت
الأمور على حقيقتها وتكشف لى كل شىء ؟

ـ هل تذكرين ايام كنا فتيات ناشئات ؟ لقد كنا نقضى اوقاتنا
لاهيات بمقارنة كل ماتقع عليه عيوننا ـ من أناس ، وشوارع ،
وحيوانات ـ بالصور التى نحتفظ بها بين مجموعات مانعتز به من
صور فوتوغرافية ملونة . وكنا نأمل ان تكون الحياة على هذه
الصورة . ثم تقدمنا فيما بعد ، عندما ترددنا على المتاحف ،
واصبحنا نتخذ من لوحاتها اساسا لمقارنتنا .

ـ وهذا ماطبقته فى حياتى هنا . وطبقته عامدة دون ايمان بما
افعل . وفوجئت صباح اليوم ، بالبيت الذى أعيش فيه يبدو
امامى على حقيقته . رايت حماتى ، ورايت ج فى صورتيهما
الحقيقيتين دون قناع من الأوهام .

ـ لقد تخلصت من هذا القناع لفترة ما ـ أعنى قناع الاوهام يجب ان تفهمينى لقد ازلت الغشاوة عن عينى ، وكنت أرفض بعناد أن أعترف بذلك .

ـ والآن ، وبعد أن تخلصت من ذلك كله ، عقدت العزم على ترك هذا المكان . ولم أصرح بذلك لأحد حتى الآن . ولايوجد عند السيدة الكبيرة اية فكرة عن هذا . ولازالت تنهج فى سلوكها معى نفس المنهج من الابتسام والرقة المصطنعة مادمت أفعل مايتفق مع ارادتها .

ـ انه لم يسبق لى أن عرفت امراة مثلها فى حبها لنفسها .

ـ وقد وضعت تحت الكلمات الاخيرة خطا ، هـذا ماعقب به القائم بالترجمة هل استمر ؟ .

ـ اما عن ج ، فاعتقد انه سيرتاح لرحيلى . ولعله كان يعرف أن ذلك سيحدث يوما ما منذ البداية . اننا لم نشعر على الاطلاق بالتفاهم المتبادل بين الزوجين . ولعل فى هذا مايفسر لك ، ماكان مبعثا لدهشتك منذ بداية زواجنا ، من عدم اشتراكنا فى غـرفة واحدة ؟

ـ اتعرفين اننا بعد أن قضينا عامين ونصف تحت سقف بيت واحد ، لم نزل كشخصين غريبين . واننى عندما كنت أجده أمامى أشعر باننى القاه لاول مرة ، كما القى غيره لقاء عابرا فى الشارع أو فى النفق الارضى . وهذا الشعور نفسه ينتابنى عندما يدخل الى غرفتى . الأمر الذى لم يكن ليحدث كثيرا لحسن حظى .

ـ ولعله لم يكن ليحضر الى غرفتى فى هذه المرات القليلة الا بناء على توجيه من والدته . فلست أستبعد ذلك . هل يضحكك هذا ؟ طبعا . لأن الأمر لايكون كذلك بين الزوجين . أما ج فليس بأكثر من صبى يافع من صبية المدارس توجهه امه فى كل شىء . هل تفهمين ماأعنى ؟

ـ ولطالما تساءلت فيما بينى وبين نفسى ، هل كان الامر كذلك مع زوجته الاولى . انتى لاأستبعد ذلك . وبناء على مارأيت فان

امره سيكون كذلك مع الجميع . ان هؤلاء الناس ' اعنى الام والابن كما ترين ، يعيشان فى عالم خاص بهما ، وفى دنيا اقتطعاها لنفسيهما من الحياة بعيدا ، لايحتاجان فيها لأحد .

ـ وانه لمما يثير دهشتى ، ان هـذه المراة العجوز ، كان لها زوج فى يوم من الايام . فلم أسمعهما يتحدثان بشىء عنه على الاطلاق . ففيما عداهما ، لايوجد فى هـذا العالم أحـد يعترفان بوجوده او يتحدثان عنه ، الا تلك الصور المثبتة على الجـدران ، والتى مات أصحابها ، ومازالوا موضع حديثهما ومحور تفكيرهما كأى حى كائن على ظهر هذه الارض .

ـ لم أعد اطيق ذلك ياجرترود . وسأتحدث فى الأمر مع ج . وساخبره باننى اشعر بالحاجة الى تنسم جو الحياة فى بلادى . وانى على يقين بأنه سيدرك ماأعنيه . ان كل ماأتساءل عنه بعد ذلك ، كيف سيجد الشجاعة ليخبر امه ...

واخيرا ساله ميجريه : هل هناك من مزيد ؟ .

ـ سبع صفحات اخرى .

ـ اذن فلتواصل عملك . ساعود اليك .

وفى طريق خروجه من غرفة مكتبه ، رأى السـيدة ميجريه جالسة فى غرفة الانتظـار . وما أن وقع نظرها عليه ، حتى همت بالقيام ، ولكنه تجـاهل ذلك ، وواصل سـيره فى المشى دون أن يتوقف ، الى أن هبط من الدرج فى طريقه الى الخارج .

وعندما استقر بالسيارة التى استقلها قال للسائق : «شارع جاى .. لوساك ! ساخبرك اين تقف .

وكانت الاشجار الباسقة فى حدائق اللوكسمبرج ، تتمايل مع النسيم مزهوة باغصانها . ورأى الناس يروحون ويغدون بملابسهم الزاهية الالوان ، وقد ملئت الطرقات بالاطفـال يلهون ويعبثون ، وشغلت جميع المقاعد بكل من لم يضطرب فيما يضطرب الناس فيه من جد الحياة . وشعر بنشاطه يتجدد ، بعد ان ترك هـذا الجو القاتم فى مكتبه ، الى الحياة بكل مافيها من حركة وبهجة .

وعندما اشار للسائق بالتوقف عند المبنى الذى يقصده ، سأل عن المحامى اورين ، وعلم أنه ملازم شـقته منـذ اكثر من شـهر

وبمجـرد أن سمع ميجريه ذلك ، تذكر كل شيء عنـه . انه على الأرجح ، من اقدم المحامين فى باريس . ان كبير المفتشين لايعرف شيئا عن حقيقة سن هذا المحامى ، ولكنه يعرف انه مذ سمع عنه ، سمع عنه كرجل متقدم فى السن ، نصف عليل ، لم يمنعه ذلك من مداومة الابتسام والظهور بمظهر الرجل المرح الممتلىء بالحياة .

وكان يعيش مع مدبرة منزل تكاد تقاربه سنا ، فى شقته التى بعثرت فيها الكتب والمطبوعات ، بكل مكان منها فى غير نظام .

ووجد اورين جالسا على مقعد كبير فى مواجهة النافذة ، وما ان رآه داخلا حتى ابتدره قائلا :

ـ مرحبا ! ماذا هناك؟ أى ريح طيبة حملتك الى ؟ انها لمفاجاة سارة حقا ! لقد بدأت اعتقد ان الناس قد نسيتنى أو حسبوا اننى ارقد هناك فى بير ـ لاشيز الى الأبد . ماذا عندك فى هـذه المرة ؟

وهكذا لم يحاول الرجل أن يخدع نفسه ، او يخدع زائره ؟ مما سبب بعض الحرج لميجريه ، الذى كان يعلم فى قرارة نفسه ان ماسمعه كان حقا ، وانه لم يكن ليفكر فى زيارة هذا الرجل الا اذا شعر بحاجته اليه .

ـ لقد كنت اتساءل ، وانا استمع لعتابك ، عما اذا كان قد تصادف انك التقيت برجل يدعى سـيريه ، توفى منـذ أكثر من ثلاثين عاما .

ـ الين سيريه ؟ .
ـ لقد كان محاميا .
ـ انه هو الين .
ـ اى طراز من الرجال كان هذا الرجل ؟
ـ اليس لى أن أسأل عن السر فى كل ذلك ؟
ـ ان الامر علاقة بابنه .
ـ لم يسبق لى أن رايت هذا الابن . كنت اعلم ان له ولدا ؟ ولكن لم يسبق لى أن التقيت به . اننا ننتمى ، الين وانا ، الى

عالم مرح منطلق ، لم تكن الحياة العائلية بالنسبة اليه هى كل شيء ، ولم تكن الحياة لتبدأ عنده وتنتهى حول مدفأة الأسرة . لقد كان مكاننا فى النادى، أو بين الكواليس فى مسارح الاستعراض، حيث كنا نحفظ أسماء الفتيات عن ظهر قلب .

ثم أضاف قائلا فى حسرة :

ـ آه لو رأيت ما رأينا !

ـ ألم يقدمك الى زوجته ؟

ـ اعتقد ذلك . الا تقيم فى نوبللى ؟ لقد اعتزل الين جماعتنا سنين عديدة . ولم يكن هو وحده الذى فعل ذلك . فلقد حذا حذوه الكثيرون بمجرد زواجهم . ولم اتوقع أن يعود الينا ، وفجأة ، وبعد فترة طويلة

ـ وما هو مدى هذه الفترة ؟

ـ لا اذكر على وجه التحديد . بضع سنين . دعنا نرى ذلك معا . كنا قد انتقلنا بنادينا من ضاحية سانت اونوريه الى شارع هوش . عشر سنوات ؟ أكثر قليلا ؟ فليكن . ثم عاد الى زمرتنا مرة أخرى . وكان سلوكه فى أول الامر غريبا ، وكأنه كان يشعر باننا نضيق به لانقطاعه عنا .

ـ وبعد ؟

ـ لاشيء . لقد عاد سيرته الاولى أو اكثر قليلا . دعنا نرى مرة أخرى . ثم اختفى مع احدى الفتيات وكانت هذه الفتاة تمارس الغناء ويطلقون عليها اسما لم أعد أذكره .

ـ وهل كان من عادته أن يتعاطى الخمر ؟

ـ لم يكن باكثر من غيره . القليل من الشمبانيا من وقت لآخر ...

ـ وماذا كان مصيره ؟

ـ مصيرنا جميعا . الموت

ـ وهل هذا هو كل ماعندك ؟

ـ اذا أردت أن تعرف ماكان من أمره بعد ذلك ، فما عليك الا

ان تسال السماء . ان ذلك من اختصاص سانتة بيتر وليس من اختصاصى . ماذا اقترف ولده ؟

ـ لست متاكدا من شىء معين حتى الآن . كل ماعرفه ان زوجته اختفت .

ـ أو فتاة لعوب ؟

ـ بالعكس . انها على النقيض من ذلك .

واضطر ميجريه ان يبقى ربع ساعة بعد ذلك بناء على الحاح الاستاذ الكبير ، ليطلعه على صورة لفتاة الين سيريه ، رسمها لها احد الفنانين الهواة ، وهى ترقص .

ـ اعد الكرة يامزيزى ميجريه . كنت أرجو ان يسمح وقتك بالتخلف لتتناول معى عشائى المتواضع ...

ورأى ميجريه فى ركن الغرفة ، زجاجة نبيذ تدعو من يلمحها ؟ ووصلت الى انفه وهو فى طريقه الى الخارج رائحة الشواء المغرى .

***

لم توفق شرطة روان ، كما لم توفق شرطة الهافر ، فى العثور على اى اثر لفريدى الحزين . الامر الذى يحتمل معه ان لص الخزائن لم يعد موجودا فى هذه المدينة . ترى ، هل قفل راجعا الى باريس ؟ وهل قرأ نشرة ارنستين ؟

ثم عهد ميجريه الى احد رجال المباحث بمهمة على شاطىء النهر .

ـ من اين ابدأ ؟

ـ من اقصى مكان تستطيع مع مجرى النهر .

ورأى بعد ذلك ان يتصل بزوجته ليخطرها بانه سيتاخر عن موعد العشاء .

ـ اوتظن انك ستتمكن من العودة للمنزل الليلة ؟

ـ يحتمل اننى لن استطيع ذلك فعلا .

انه لم يكن يامل فى الكثير . ولكنه كان يدرك ايضا انه تحمل مسئولية كبرى بالاندفاع وعدم التروى فى الامر .. وذلك باحضار جيللوم سيريه الى ادارة الامن العام دون ان يقوم اى دليل ضده .

والآن سبق السيف العزل ، ولم يعد فى مقدوره ان يتراجع وينطلق سراحه .

ومر بحالة من الابتئاس ، وغالبه النعاس . فترك غرفة مكتبه هابطا الى شرفة حلوانى دوقين . وبعد أن استعرض قائمة الطعام ، انتهى به الأمر الى طلب بعض الشطائر وقدحا من البيرة لانه لم يشعر ان به رغبة فى الطعام .

وعاد ليرتقى فى درج الادارة فى خطوات وئيدة . وعندما وصل الى الطابق الثانى ، القى بنظرة على غرفة الانتظار من الخارج حيث وقع بصره اول ما وقع على قبعة خضراء ، كان قد أصبح وهو فى حالته هذه ، يرى فيها عبئا ثقيلا على أعصابه ... لقد كانت صاحبة القبعة هى ارنستين ، تجلس فى مقعد مقابل لمقعد السيدة سيريه ، وقد اتخذت لنفسها ، ما تتخذه السيدة من سمات العزم والجلد . وما أن رأته ، حتى تعمدت أن تلتقى عيناها بعينيه ، وتحييه بانحناءة طفيفة .

وفهم أنها قصدت بذلك ان يتجاهلها . لأنها عمدت بعد ذلك مباشرة ، الى مواصلة حديثها مع السيدة سيريه ، بشكل ظهر منه ان الكلفة كانت قد رفعت بينهما فعلا .

فلم يعن بكثير او قليل من ذلك ، ودفع باب الغرفة المجاورة لغرفته ودخل فوجد كاتب الاختزال مجدا فى عمله . ووصل الى سمعه صوت جانفييه المجهد ، مع وقع خطواته التى يذرع بها الغرفة المجاورة فى غدو ورواح .

ـ بناء على ماقررته ، يامسيو سيريه ، نفهم ان زوجتك ذهبت لتبحث عن سيارة أجرة عند ناصية شارع ريتشارد والاس . فما هو الوقت الذى استغرقه هذا ؟

ـ وقبل أن يخلو جانفييه من مهمته هذه ، راى ميجريه ان يقابل مويرزالزى .

وجده منكبا على بعض المستندات لاستيفائها .

ـ الم تجد بالسيارة أية آثار أخرى بخلاف ماسبق ان حدثتنى عنه ؟

ـ لم أجد مطلقا . لقد قاموا بتنظيف السيارة تنظيفا كاملا .
ـ أواثق انت من ذلك ؟
ـ كل الثقة .

ـ اذا فرضنا أن السيارة لم يتول أحد تنظيفها ، وان السائق اتجه بها الى طريق ريفى .
ـ طريق مغطى بالاسفلت ؟

ـ لااريد ان اقول ، فلنفرض انه تركها هو ومن كان معه ، وانهما سارا معا فى طريق آخر فرعى ، ثم عادا واستقلا السيارة مرة اخرى .

ـ ولم يقم احد بتنظيفها بعد ذلك ؟
ـ نعم .
ـ كان يجب ان أعثر على مايدل على ذلك ، مهما كان قليلا .
ـ هذا كل ماأردت ان أستفسر عنه . أرجو الا تغادر المبنى .

ـ فليكن . وبالمناسبة ، لقد عثرت على بعض الشعيرات فى غرفة المرآة المختفية . واتضح من الفحص انها كانت شقراء ، وانها كانت تصبغ شعرها باللون الأحمر . ولقد وصلت أيضا الى معرفة المساحيق التى كانت تستعملها .

وقفل كبير المفتشين راجعا الى غرفة مكتبه . ووجد أن سحب الدخان تملأ جو الغرفة . لقد كانوا جميعا يدخنون . هو يدخن غليونه وجانفييه سجائره وميريه سيجاره الكبير .
ـ آلا تشعر بالظما ياسيو ميريه ؟
ـ لقد قدم لى رجلكم كوبا من الماء .
وهنا انصرف جانفييه .

ـ أماكنت تفضل قدحا من البيرة ؟ أو كأسا من النبيذ ؟

وبنفس النظرة التى داب على توجيهها الى ميجريه قال له :
ـ شكرا على كل حال .
ـ ساندويتش ؟
ـ أو سيطول بى المقام هنا ؟

- لست أدرى . يحتمل ذلك . ان الامر متروك لك .
ثم قام الى الغرفة المجاورة ، وسأل رجال المباحث أن يحضروا له خريطة لحى فوتنتبلو .
كان يطيل فى الاجراءات ، ليكسب الوقت . ان كل هذا الذى يدور ، ماهو الا قشور ، لاتمس من الموضوع الا السطح .
- عندما تذهب لتناول طعامك ياجانفييه ، ابعث لنا ببعض الشطائر والجعة .
- مفهوم ياسيدى الرئيس .
وهنا دخل احد رجال المباحث ، وسلمه الخريطه التى طلبها .
- أرنى فى أى مكان توقفت بسيارتك يوم الاحد .
وبعدان تأمل سيريه الخريطة بعض الوقت ، تناول قلما واشريه على نقطة يلتقى فيها الطريق الرئيسى بآخر فرعى .
- فاذا ماوجدتم مزرعة يعلوها سقف أحمر اللون على اليسار كان هذا هو الطريق الذى سرنا فيه .
- كم من الوقت قضيتما فى سيركما ؟
- حوالى ربع الساعة .
- هل كنت تنتعل نفس الحذاء ؟ قال ذلك وهو يشير الى حذاء سيريه ، الذى تردد قليلا قبل أن يجيب ثم نظر الى حذائه ، واخيرا أوما برأسه موافقا .
- أواثق أنت من ذلك ؟
- كل الثقة .
- الا ترى يامسيو سيريه ، انه أولى بك ثم أولى أن تقول الصدق ؟ متى قتلت زوجتك ؟
- انا لم أقتل زوجتى .
وزفر ميجريه زفرة حارة . ولم يجد بدا من القيام الى الغرفة المجاورة لاصدار أوامر جديدة . ان الامر ، كما يبدو ، سيستغرق ساعات أخرى طوال . ولاحظ أن ملامح الاجهاد قد بدأت تظهر على الطبيب ، وان هذه الساعات الطوال التى قضاها فى الاستجواب ، قد بدأت تنال منه ، وبدأت ترسم حول عينيه خطوطا سوداء .

ـ لماذا تزوجت منها ؟
ـ هذا ماأشارت والدتى به على .
ـ وماهو السبب فى تحمسها لذلك ؟
ـ خشية ذلك اليوم الذى قد اترك فيه وحيدا . انها لم تزل تراني طفلا فى امس الحاجة لأن يرعانى أحد ما .
ـ ولكى يحول بينك وبين ادمان الخمر ؟
ولم يكن هناك من سبيل للتعقيب على هذا السؤال .
ـ اظن ان زواجك بماريافان ايرنز لم يكن عن حب متبادل بينكما .
ـ ان كلا منا قد قارب الخمسين .
ـ متى بدأ الخلاف يدب بينكما ؟
ـ لم يكن بيننا خلاف ما .
ـ كيف كنت تمضى سهراتك يامسيو سيريه ؟
ـ أنا ؟
ـ نعم . أنت .
ـ كنت اقضى معظم وقتى فى القراءة بغرفة مكتبى .
ـ وزوجتك ؟
ـ تحرر الرسائل فى حجرتها . وكان من عادتها أن تأوى الى فراشها فى ساعة مبكرة .
ـ هل بدد والدك كثيرا من ثروته ؟
ـ لست افهم ما تعنى .
ـ ألم تسمع أن والدك كان يعيش أيامه بالعرض كما يقولون ؟
ـ نعم .
ـ هل انفق مبالغ كبيرة ؟
ـ اعتقد ذلك .
ـ وهل كانت والدتك تثور لذلك ؟
ـ لسنا من هذا الطراز من الناس .
ـ ما هو مقدار ما عاد عليك من زواجك الأول ؟
ـ ارى اننا لا نتكلم بنفس اللغة .

ـ لقد تزوجت من زوجتك الأولى فى ظل قانون اختلاط الذمة ؟

ـ صحيح .

ـ وكانت تملك مالا . ويستتبع هذا أنك كنت وريثها .

ـ هذا امر طبيعى . أم أنك ترى غير ذلك ؟

ـ وطالما لم يعثر على جثة زوجتك الثانية ، فانك لن تستطيع أن ترثها .

ـ ولماذا تستبعد العثور عليها حية ترزق ؟

ـ هل تعتقد ذلك ، يا مسيو سيريه ؟

ـ لأننى لم أقتلها .

ـ لماذا خرجت بسيارتك يوم الثلاثاء ليلا ؟

ـ لم يحدث ذلك .

ـ لقد شهدت حارسة المبنى المواجهة للجاراج بانها رأتك تخرج بسيارتك حوالى منتصف الليل .

ـ لقد نسيت أن هناك ثلاثة أبواب متقاربة . وكان الظلام مخيما كما تقول . فماذا يمنع من أن يكون الأمر قد اختلط عليها ؟

ـ وهل يكون الأمر قد اختلط على البائع فى مخزن الأدوات المنزلية ، عندما شهد بأنه رآك فى وضح النهار ، يوم توجهت لشراء لوح الزجاج والمعجون ثانى مرة ؟ .

ـ ان ما أقوله لا يقل صحة عما يقوله هو .

ـ فلنسلم بأنك لم تقتل زوجتك ، ترى ماذا فعلت بالصندوق والحقائب ؟

ـ ثالث مرة يوجه لى هذا السؤال . ولكنك نسيت أن تضمنه معدات اللص هذه المرة .

ـ أين كنت يوم الثلاثاء ليلا ؟ حوالى منتصف الليل على وجه التحديد ؟

ـ فى الفراش .

ـ ألم يصل الى سمعك ، أنت أو والدتك ، صوت ما ؟

ـ اظن اننى قد اخبرتك بذلك من قبل .

ـ وهل لم تلاحظ شيئا غير عادى بالمنزل صباح الاربعاء ؟

ـ من حقــك أن توجه لى أى ســؤال ، ما دمت قد بدأت جمع التحرياتك فى هذا الموضوع. ولكننى أرى أنك تنتهج معى نهجا تريد به أن تختبر قوة احتمالى ؟ لقد وجهتم لى هذه الأسئلة غير مرة أنت ورجالك . والآن تعود لتبــدأ الأمر معى مرة اخـرى . وأرى أنك ستواصل ذلك معى طوال الليل . وحتى لاتضيع وقتك فيمالاجدوى منه ، فقد آن الأوان لأن أؤكد لك آخر مرة أننى لم اقتل زوجتى . وأضيف الى ذلك أننى لن اجيب عن أى سؤال سبق أن وجه الى . هل يمكن أن أعرف ما اذا كانت والدتى موجودة هنا ؟

ـ وما الذى دعاك لأن تظن ذلك ؟

ـ وهل فى هذا ما يثير دهشتك ؟

ـ انها موجودة بغرفة الانتظار .

ـ أو ستتركها تمضى ليلها هنا ؟

ـ اذا أرادت هى أن تغادر الادارة ، فلن أحاول من ناحيتى أن أمنعها . ان لها مطلق الحرية فى ذلك .

وكانت نظرة جيللوم سيريه فى هــذه المرة ، تفيض بغضــا وكراهية .

ـ ما كنت أحب لنفسى أن اقوم بعمل مثل عملك .

ـ وأنا بدورى ، ما كنت أرضى لنفسى بأن أقف موقفك .

وظل كل منهمــا يحدق فى وجه الآخــر بعينين ثابتتين ، فى اصرار وعزم وتحد . وأخيرا قال له ميجريه :

ـ لقد قتلت زوجتك يا سيريه كما قتلت زوجتــك الأولى على الأرجح ؟

ولم يتحرك سيريه أو تختلج فى وجهه خالجة .

ـ وستعترف بذلك .

ولم يفعل الطبيب اكثر من أن يزم شفتيه احتقارا . ثم اعتدل فى جلسته ووضع ساقا على ساق .

ـ لست أمانع فى تناول شىء من الطعام .

ـ هل تحب أن تخلع معطفك ؟

ـ لا .

وجاءوا له بشطيرة بدأ يأكلهـا فى بطء شديد على حين ذهب ميجريه ليحضر له كوبا من الماء بنفسه . وكانت الساعة حينئذ قد بلغت الثامنة مساء، حيث بدأ الظلام يسدل ستاره لتظهر معه النجوم متناثرة فى صفحة السماء .

ونفد ما لدى ميجريه من تبغ ، وارسل فى شراء كمية اخرى . وما ان اقبلت الساعة الحادية عشرة مساء ، حتى كان الطبيب يدخن آخر سيجار تبقى معه . وامتلأ جو الغرفة بالدخان وازداد ثقلا . وخرج كبير المفتشين من الغرفة مرتين ليجول فى المبنى . ورأى المرأتين فى جولته الثانية ، وقد اقتربت كل منهما بمقعدها من الأخرى وقد استغرقتا فى حديث طويل ، وكأنهما قد تعارفتا من سـنين ..

ـ ومتى كانت آخر مرة قمت فيها بتنظيف سيارتك ؟

ـ كان ذلك منذ أسبوعين ، فى جاراج بنويلل ، حيث قاموا بتغيير الزيت .

ـ ألم تتول تنظيفها مرة أخرى بعـد ذلك . بعد يوم الأحد مثلا ؟

ـ لم يحصل .

ـ اذن فلتعلم أننا قمنا بتجربة دقيقة . فقد كلفت أحد رجالى أن ينتعل حذاء يشبه حذاءك، ثم استقل احدى السيارات الى المكان الذى عينته لنا فى طريق فونتنبلو . وكما سبق أن قررت لنا أنك ومعك والدتك قد تركتما السيارة وخطوتما الى الطريق الريفى حيث سرتما به قليلا . وهذا الطريق لا يغطيه الأسفلت. ترك هذا الرجل السيارة وحذا حذوكما ، ثم قفل راجعا بالسيارة الى هنا .

وقام الخبراء المختصون بفحص دواسة السيارة . وهاهو ذا ما قاموا بجمعه مما علق بها من أتربة وآثار .

ودفع اليه بمظروف صغير ، لم يتحرك سيريه ليتناوله منه .

ـ وكان من المفروض أن نجد مثل هذه الآثار بسيارتك .

ـ وهل فى ذلك دليل على أننى قتلت زوجتى ؟

ـ انه أكبر دليل على أن السيارة قد نظفت بعد يوم الأحد .

ـ أو لم يكن فى استطاعة أحد أن يدخل الجاراج فى غيابى ؟

- أستبعد ذلك .
- وكيف ؟ الم يدخل رجالك الى الجاراج ؟
- ماذا ترمى بقولك هذا ؟

- لا شيء يا سيدى المفتش . اننى لا أتهم أحدا . فقد أردت بذلك ان اضع النقط فوق الحروف ، وان ابين لك ان دخول رجالك الى الجاراج لم يكن اجراء قانونيا سليما .
- هل تحب أن تتصل بوالدتك ؟

- لعلك تحب ان تعرف ما يدور بيننا من حديث ؟ اطمئن يا مسيو ميجريه . ليس عندى ما أقوله لها ، وليس لديها ما تقوله لى .

وفجأة سأل المفتش :
- ألم تتناول شيئا تمسك به رمقها ؟
- لا أعرف . وكل ما أعرفه أنها حرة تفعل ما تشاء .
- انها لن تغادر المبنى ما دمت موجودا به .
- قد يعنى ذلك انها ستبقى فترة طويلة .

فاطرق ميجريه قليلا ، وتغيرت حالته تغيرا شاملا . وبعد فترة التردد . قال متمتما فى استحياء :
- لعلنى لا أثقل عليك اذا ما سألتك ان تأمر بتقديم شطيرة لها ؟

- لقد أمرت بذلك فعلا .
- وهل أكلت ما قدم لها ؟
- نعم .
- وكيف حالها ؟
- انها تقضى وقتها فى حديث مستمر .
- مع من ؟
- مع شخص تصادف وجوده فى غرفة الانتظار . فتاة من فتيات الشوارع .

ومرة اخرى تشع نظرات الحقد من عينى الطبيب .
- وذلك بناء على ترتيب منك ؟

ـ لم يكن لى يد فى ذلك على الاطلاق •
ـ ليس لدى والدتى ما تقول •
ـ وفى ذلك الخير كل الخير لك •

ثم ران عليهما صمت استمر ربع الساعة • وبعدها قام ميجريه الى الغرفة المجاورة، وهو أشد عبوسا من أى وقت مضى ، وأشار الى جانفييه الذى كان جالسا فى ركن من الغرفة يغالب النعاس •

ـ نفس الروتين يا سيدى الرئيس ؟
ـ افعل ما بدا لك •

ورأى كاتب الاختزال وقد بدا عليه الاجهاد • كما وجد القائم بالترجمة لم يزل مكبا على عمله •

ـ اذهب وجئنى بارنستين الى غرفة لوفاس • هى التى تضع على رأسها قبعة خضراء •

فلما اقبلت لوفتى ، لاحظ انها منقبضة النفس .

ـ ما كان ينبغى لك أن تقتحمى علينا المكان • فقد يثير هذا شكوك المرأة العجوز •

ولم يكن ميجريه متزمتا معها فى الحديث •

ـ ترى ماذا قلت لها ؟

ـ كيف لا أعلم ماذا أتى بى الى هنا ! وكيف يختفى زوجى منذ يومين ولا أعلم عن مصيره شيئا ! لشد ما أكره الشرطة ورجال الشرطة وألاعيب رجال الشرطة وأساليبهم الملتوية ! قلت لها يا سيدى المفتش :

ـ انهم يحتجزوننى هنا ، أملا منهم فى الضغط على أعصابى ! انهم يتصورون أنهم قد يستطيعون أن يحلوا عقدة لسانى •

وماذا قالت لك ردا على هذا ؟

ـ سألتنى عما اذا كنت قد دخلت هذا المكان من قبل • فأجبتها بأننى دخلته وأمضيت فيه ليلة بطولها منذ عام مضى ، بسبب حادث وقع لزوجى فى احد المقاهى ، وأرادوا أن يستغلوه فى اتهامه ، بأنه طعن شخصا ما بسكين • وما أن سمعت ذلك حتى أظهرت اشمئزازها من هذا التصرف وبدأت بعد ذلك توجه أسئلتها واحدا بعد آخر •

ـ وعن أى موضوع كانت تدور هذه الأسئلة ؟
ـ تكاد تكون كلها عنك . وكانت ردودى ياسوا ما يمكن أن تتصور . وراعيت بصفة خاصة أن أضيف الى ما أجبت به ، أنك كنت تعمل دائما على ارغام من يقعون بين يديك على الكلام ، بكل ما تستطيع من قسوة وقوة .
ـ ماذا قلت ؟

ـ انى أعرف تماما ماذا فعلت . بل لقد أخبرتها بما قمت به فى وقت من الأوقات ، من تجريدك لشخص ما من ملابسه ، وتركه فى غرفة مكتبك مدى يوم بنهاره وليلة فى منتصف فصل الشتاء ، وانك حرصت على أن تترك النافذة مفتوحة على مصراعيها .
ـ ان شيئا من هذا لم يحدث .
ـ لقد أقامها هذا واقعدها . وأصبحت أقل ثقة بنفسها ، مما كانت قبل حضورى ، وكانت تصغى لما اقول طوال الوقت .
ـ وهل من عادته استعمال القسوة مع الناس؟ بهذا سألتنى .
ـ ان ذلك معروف للجميع .
ـ أو تحب أن أعود الى حديثى معها ؟
ـ اذا كنت تريدين ذلك .
ـ من الأفضل أن يصحبنى احد رجالك الى غرفة الانتظار ، وليتظاهر باستعمال القسوة معى .
ـ الم تصلك أنباء بعد من ألفريد ؟
ـ وأنت الم يصلك شىء ما ؟
ونفذ ميجريه ما اشارت به عليه . وبعد قليل عاد رجل المباحث وقد افتر ثغره عن ابتسامة عريضة .
ـ ماذا حدث ؟

ـ شىء طريف ! عندما كنت فى طريقى داخل غرفة الانتظار ومررت بالقرب من السيدة العجوز رفعت ذراعها تقى به وجهها خشية أن أصفعها . وما كدت أغادر الغرفة حتى انفجرت لوقتى باكية .
واتصلت زوجة ميجريه به ، لتستفسر منه عما اذا كان قد تناول شيئا من الطعام .

ـ هل انتظرك ؟

ـ لا . بكل تأكيد »

والم به صداع شديد . وكان برماً بنفسه وبكلّ من هم حوله غير مرتاح لكل ما فعله ويفعله ، قلقا ضيق الصدر . وراح يتساءل فيما بينه وبين نفسه ، عما يفعل لو اتصلت بهم ماريا فان ايرتز فجأة ، لتعلن انها عدلت عن خطتها ، وأنها رأت أن تستقر فى بلد ما .

ورأى ان يتناول قدحا من البيرة اعقبه بغيره ، ثم عاد الى غرفة مكتبه ، حيث وجد جانفييه قد فتح النافذة .

ثم جلس الى مكتبه فى استرخاء . وبعد أن انصرف جانفييه قال للطبيب متفكها :

ـ ان والدتك مقتنعة بأننى امارس معك اساليب العنف .

ففوجىء بالآخر يرفع رأسه ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح القلق وهو يقول محتدا :

ـ ترى ماذا قلتم لها ؟ .

ـ لا شىء من ناحيتنا . يحتمل ان تكون تلك الفتاة التى تجلس معها هى التى حدثتها بشىء من هذا القبيل . اننى اعرف هذا الطراز من الناس ، الذى يحب أن يختلق الاكاذيب ليجعل من نفسه شخصية مهمة .

ـ أو يمكن ان اقابلها ؟ .

ـ من ؟ .

ـ والدتى .

وتظاهر ميجريه بالتردد قبلّ ان يحزم أمره . وأخيرا قال : بلهجة قاطعة :

ـ لا . لاننى سأتولى بنفسى استجوابها . كما كان من الواجب ان آمر بحضور أوجينى ايضا .

ـ ان والدتى لا تعرف شيئا .

ـ وأنت ؟ .

ـ ولا انا .

ـ اذن لماذا لا استجوبها كما استجوبتك ؟ .
ـ الا يعرف قلبك الرحمة يا سيدى المفتش ؟ .
ـ لمن ؟ .
ـ لامرأة طاعنة فى السن .
ـ كانت ماريا أولى بهذه الرحمة .

وبدأ يذرع الغرفة فى خطوات متئدة ، وقد وضع يديه خلف ظهره ، كمن يترقب شيئا . ولما لم يتحقق له ذلك قال :
ـ دورك يا جانفييه ! اننى ذاهب لالقى الام .

وفى الحق انه لم يكن ليدرى ماذا هو فاعل . وقد صرح جانفييه فيما بعد ،انه لم يسبق له ان راى رئيسه فى هذه الحالة من الاجهاد وسوء الخلق التى رآه بها فى هذه الليلة .

وعند ما بلغت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، كان كل من بالادارة قد فقد الثقة بكل شىء . وكان الجميع يتبادلون نظرات الأسى فى غفلة من كبير المفتشين .

## الفصل الثامن

كان ميجريه فى طريقه من غرفة التحقيق الى حيث يباشر المترجم عمله ، عندما أقبل عليه أحد عمال النظافة قائلا :
ـ هناك سيدة تطلب أن تراك .
ـ اين هى ؟ .
ـ انها احدى السيدتين اللتين كانتا بغرفة الانتظار . ولقد لاحظت انها متعبة ، عندما جاءت الى الغرفة التى كنت أقوم بتنظيفها ، شاحبة الوجه تسالنى أن أبحث عنك . فساله ميجريه مقطبا :
ـ السيدة المسنة ؟ .
ـ لا . الفتاة .

وكانت معظم الابواب التى بالمشى مفتوحة . وفى احدى الغرف ، راى كبير المفتشين ارنستين تطبق باحدى يديها على صدرها . فاسرع بخطاه اليها وهو يهم بسؤالها عما بها . وما ان اقترب منها ، حتى قالت هامسة :

ـ اغلق الباب .

ـوما ان قام بذلك حتى بادرته قائلة :

ـ اننى لم استطع ان اقاوم اكثر من ذلك . وفى الحق ، اننى على ما يرام . لقد تظاهرت بذلك حتى استطيع ان اتركها قليلا .. الا يمكن ان اجد قليلا من الخمر هنا ؟ ..

واضطر ان يعود الى غرفة مكتبه ليأتى بزجاجة كونياك كان يحتفظ بها فى درج مكتبه . وعاد اليها بالزجاجة وصب منها ملء كوب صغير القت بمحتوياته فى جوفها دفعة واحدة ، اهتز لهـا جسمها كله .

ـ كيف أتيح لك ان تطيق الابن ؟ لقد كادت الام أن تفقـدنى صوابى ! ..

ـ وهل وصلت معها الى شىء ؟ ..

ـانها اوسع منى باعا ! وهذا ما أردت ان أخبرك به . فقـد بدأت معها أول ما بدأت بأن ألقمهـا الحجر الذى اعـددته لها ، وكدت اقتنع بانها قد ابتلعته دون أن تدرى واننى بلغت ما اريده منها .

ـ وفجأة ، ودون ان أدرى كيف حدث ذلك ، وجدت انهـا هى التى توجه الاسئلة فى كل ناحيـة ، فى صـيغة بسيطة وثوب برىء . لقد تعرضت فى حياتى لاشد انواع الاستجواب واقساه ، حتى خيل الى أننى لن ترهقنى بعد ذلك اكثر الاسئلة حرجا .

ـ وقد انهار كل ذلك أمام جبروتها ، مما لم يترك لى مجالا لاى شىء .

ـ وهل عرفت من انت ؟ ..

ـ لم يكن ذلك بصفة مباشرة . ان هذه المرأة بارعة كل البراعة يا مسيو ميجريه . فكيف عرفت اننى من فتيات الشوارع ؟ .. قل لى بصراحة ، هل مازلت ابدو كذلك ؟ ..

لم وجدتها تقول لى :

ـ انك لست غريبة عن هؤلاء القوم ، أليس كذلك ؟ ..

ـ وكانت تعنيكم بذلك ..

ـ وانتهى بها الامر الى أن تستقصر منى عن حياة السجون ، ووجدتنى اشرح لها ذلك دون أن أدرى .

ـ لو قلت لى فى بادىء الامر ، انها ستكسب الجولة فى النهاية ، لما صدقتك .

ـ وهل اخبرتها بشىء عن الفريد ؟ »

ـ الى حد ما . دون أن اكشف لها عن حقيقة عمله ، الذى لم يكن ليعنيها فى كثير او قليل . ان ما كان يعنيها هى أن تعرف كل شىء عن حياة السجون . وقد استغرقت أسئلتها من الوقت اكثر من ثلاثة ارباع الساعة : متى تستيقظون ، ماذا تأكلون ، كيف يعاملكم الحراس ..... واعتقدت انه قد يعنيك أن تعرف كل ذلك ، فتظاهرت بالحالة التى رأيتنى عليها . وحملت عليك وقلت انه ليس من الانسانية فى شىء ، ان تترك النساء هكذا طوال الليل ....

ـ أو تسمح بجرعة أخرى ؟ »

ولاحظ أنها وان كانت قد ادعت المرض ، الا انها كانت مجهدة فعلا . كما لاحظ أن الكونياك قد أفادها وأعاد الدم الى وجهها .

ـ الم يتكلم ابنها بعد ؟

ـ لم يتكلم بعد .

ـ الم تتحدث بشىء عن ابنها ؟ »

ـ كانت تفتح أذنيها لكل صوت ، وترصد كل حركة . وكان من بين ما أرادت أن تعرفه ، ما اذا كنت قد قابلت احد المحكوم عليهم بالاعدام . كانت تريد ان تحيط بكل شىء عن هذه الناحية ! سأعود اليها ، لانى اشعر باننى احسن حالا . لا تقلق ، فسأحرص هذه المرة على الا يفلت منى زمام امرى .

وانتهزت هذه الفرصة لتصلح من هندامها وتضيف بعض المساحيق الى وجهها ، ثم نظرت الى الزجاجة دون ان تجرؤ على طلب جرعة ثالثة .

ـ هل تجاوزنا منتصف الليل بكثير ؟ »

ـ انها الثالثة صباحا .

ـ انى لأعجب ، كيف تسنى لهذه المرأة الطاعنة فى السن أن تتحمل كل ذلك ! فما استطاع التعب ان ينال منها شيئا . وها هى ذى تجلس فى آخر الليل كما كانت تجلس فى أوله ، منتصبة القامة لا يبدو عليها شىء من الارهاق .

وتركها ميجوريه تتصرف . ثم قام الى نافذة مطلة على الساحة ، ليستنشق بعض الهواء النقى ، بعد أن شرب ملء فمه من زجاجة الكونياك التى كانت فى يده . وفى طريق عودته ، عرج على الغرفة التى يزاول المترجم فيها عمله ، حيث اطلعه هذا على فقرة باحدى الرسائل قائلا :

ـ ان تاريخ هذه الرسالة يرجع الى عام ونصف مضى .

كتبت ماريا لصديقتها تقول :

ـ حدث بالامس ما اثار ضحكى . فقد حضر ج الى غرفتى ليحدثنى بشأن ما اقترحته قبل ذلك بيوم عن السفر الى نيس لقضاء يومين بها .

ـ ان هؤلاء القوم ترعبهم فكرة السفر . ولم يسبق لهم أن رحلوا عن فرنسا الا مرة واحدة فى هذا العمر الطويل . وكان ذلك فى حياة والده الذى اصطحبهم معه الى لندن . وتصادف انهم جميعا أصيبوا بدوار البحر ، مما اضطرهم لاستدعاء طبيب السفينة ليعودهم .

ـ الا انه لا علاقة بين هذا وبين ما نحن بصدده ، وما كنت أريد أن أسرده عليك .

ـ فكل ما أتحدث به ولا يروقهما ، يلزمان حياله جانب الصمت . وكل ما يفعلانه ، أنهما يتوقفان عن الكلام ، ونمر جميعا بفترة من السكون الذى يخيم علينا .

ـ ثم حضر ج الى غرفتى كما قلت لك ، مهموما مبتئسا ، وبدأ يحوم حول الغابة كما يقولون ، ثم دخل فى الموضوع أخيرا وكشف لى عن خبيئة نفسه . واتضح لى مما قاله أن فكرة السفر الى نيس لحضور الكرنفال لم تكن فكرة موفقة مقبولة . بل لقد صرح

لى بأن والدته صدمت لمجرد سماعها لاقتراحى هذا ، وتضرع الى ان اقلع عن هذه الفكرة .

ـ فليكن ، لا علينا من ذلك . فقد تصادف أن كان درج منضدة فراشى مفتوحا . فالقى عليه نظرة عابرة ، شحب لها وجهه على اثرها . ثم ابتدرنى سائلا ، وهو يشير الى مسدس صغير كنت قد اشتريته فى أثناء رحلتى الى مصر ، ما هذا ؟ .

ـ ولعلك تذكرين اننى سبق ان كتبت لك عن ذلك فى حينه ؟ وقلت لك ان بعضهم اشار على بذلك ، لانه يحسن بامرأة تسافر بمفردها فى بلاد اجنبية ، أن تتزود بشىء من هذا القبيل .

ـ ولست ادرى لماذا وضعته فى هذا الدرج بالذات . فاجبته بكل هدوء :

ـ مسدس .

ـ وهل به ذخيرة ؟ .

ـ لا اعرف .

ـ ثم امسكت به ، وفحصت الخزانة ، ولم اجد بها ذخيرة .

ـ هل لديك ذخيرة ؟ .

ـ طبعا .

ـ وبعد نصف ساعة ، انتحلت والدته عذرا لتدخل غرفتى ؟ كعادتها دائما عندما تريد أن تدخل غرفتى منتحلة اعذارا . وفعلت ما فعله ابنها فى أول الامر من عدم الدخول فى الموضوع مباشرة . ثم صارحتنى برأيها عن حمل المرأة للسلاح وعدم مناسبة ذلك لها . فقلت لها :

ـ انه ليس بأكثر من صورة ، أحتفظ بها كتذكار . علاوة على أنه مرصع بالجواهر ومنقوشة عليه الحروف الاولى من اسمى . ولست ارى فيه غير حلية جميلة لا ضرر منها على احد .

ـ واقتنعت أخيرا بوجهة نظرى . ولم يكن ذلك قبل أن سلمتها صندوق الذخيرة .

ومن المضحك انى ، بعد أن تركتنى وانصرفت ، عثرت فى

احدى حقائب يدى على «مشط» ذخيرة كنت قد نسيت امره وطبعا لم اخبرها بذلك ...

وعندئذ صب ميجريه قليلا من الكونياك ، من الزجاجة التى كانت لم تزل بيده ، فى كاس سلمها للمترجم . ثم قفل راجعا الى غرفة مكتبه ، التى تركها له جانفييه فور دخوله .

ـ سيريه ، لقد قلبت الامر على كل وجوهـه . وبدات اوقن بانك لم تكن تنحرف باقوالك عن الصدق كثيرا ، كما كنت اظن .

ويلاحظ انه اسقط من حـديثه كلمة «مسيو» ، كانما كان لهذه الساعات الطوال التى قضياها معا فى غرفة واحدة ، اثرها فى رفع الكلفة بينهما . ولم يفعل الطبيب اكثر من ان يتامله فى شك مريب .

ـ لم يكن من المفـروض ان تختفى ماريا بغير الطـريقة التى اختفت بها زوجتك الاولى . ان اختفاءها بالصـورة التى حدثت بها لم يكن فى مصلحتك . فقد حزمت متاعها ، واعلنت اعتزامهـا السفر الى هولاندا . وكان فى نيتها فعلا ان تستقل قطار الليل .

ـ ولست ادرى ، هل كان من المفروض ان تموت بالمنزل او يتم ذلك بعد ان تغادره . ماذا تقول فى هذا ؟.

ولم يجب جيللوم سيريه بشىء . الا ان تعابير وجهه نمت عن اهتمامه الكبير بما سمع .

ـ وبمعنى ادق ، كان المفروض ان تموت ميتة طبيعية ، اى ان تموت ميتة تبدو طبيعية . الامر الذى لم يتم . لانه لو تم فعـلا بهذه الصورة ما كان بك حاجة للتخلص من جثتها ومن متاعهـا .

ـ ثم هناك شىء آخر ، احب ان اضيفه الى ما سبق . لقـد ودعتها وودعتك . فماذا دعاها بعد ذلك لان تعود لغرفة مكتبك ؟ حيث وجدت جثتها فى وقت ما من تلك الليلة .

ـ اننى لا اطلب منك الاجابة عما اسالك به . كل ما اطلبـه منك ان تتتبع ما اسرده على مسـامعك . لقد كشفت الآن فقط ، ان زوجتك كانت تملك مسدسـا .

ـ وتجدنى على استعداد للتسليم بانك اطلقت عليها النار دفاعا عن النفس . ثم انتابك الذعر عندما تجسمت لك حقيقة ما جنت

يداك ، فتركت الجثة حيث كانت ، واندفعت لتأتى بسيارتك من الجاراج ، وفى هذا الوقت شاهدتك حارسة المبنى كما أخبرتك من قبل .

ـ وان ما أحاول أن أصـــل اليه ، هو لماذا تغيرت خطط كل منكما . لقد كنت فى غرفة مكتبك . أليس كذلك ؟ »

ـ لا أذكر .

ـ سبق أن قررت ذلك »

ـ ربما .

ـ وتراني مقتنعا كل الاقتناع بأن والدتك لم تكن بغرفتها « بل كانت معك حيث كنت .

ـ لقد كانت في غرفتها .

ـ اذن ، فأنت تذكر ذلك ؟ »

ـ نعم .

ـ وبناء على ذلك ، فأنت تذكر أنك كنت بغرفة مكتبك ؟ كما تذكر أنها لم تخرج لتبحث عن سيارة أجرة . لأنها لو كانت فعلت ذلك فى تلك الليلة ، لكنا وفقنا في الاهتداء الى السائق ويترتب على ذلك ، أنها غيرت رأيها قبل أن تغادر المنزل واتجهت الى غرفة مكتبك . فما هى علة ذلك ؟

ـ لا أعرف .

ـ أتعترف بأنها قابلتك فى غرفة مكتبك حينئذ ؟ »

ـ لا .

ـ لقد جانبك التوفيق يا سـيرله . ان الحالات التى لم تكشف فيها جثث القتلى ، قليلة نادرة . وسنوفق فى العثور على جثتها » وعندئذ ، سـيتضح من تشريح الجثة ، أن الوفاة كانت نتيجة لاطلاق النار على صاحبتها . وكل ما أتساءل عنه الآن ، هو ما اذا كان اطلاق النار عليها كان من مسدسها أو من مسدسك .

ـ ان محور هذه القضية يرتكز على هذه النقطة بالذات . فاذا ما اتضح أن الرصاصة كانت من مسدسهـا ، أستنتج ذلك ، أنها

لسبب ما ، قد جاءت اليك وقد اعتزمت أمرا • وقد يكون ذلك لتسوية موضوع ما أو لتهديدك وارغامك على التسليم بشيء ما •
ـ ويحتمل ان يكون المال هو الدافع على ذلك يا سيريه ؟ »
ولم يعقب على هذا واكتفى برفع كتفيه •

ـ وكان ان هاجمتها ، وانتزعت منها السلاح ، وضغطت على الزناد دون أن تتعمد ذلك • وهناك احتمال آخر • وذلك انها قد هددت والدتك ولم تهددك انت . ان كراهية المرأة للمرأة لاشد عمقا من كراهية المرأة للرجل •

ـ واليك احتمال أخير • وذلك ان مسدسك لم يكن بغرفتك ، حيث وضعته بعد ذلك ، بل كان فى درج مكتبك . وها هى ذى ماريا تدخل الغرفة مسلحة تتوعدك وتهددك . ثم ها أنت تفتح الدرج وتبدأ باطلاق النار .

ـ وفى كلتا الحالتين ، تجد أنك بمنجاة من الحكم عليك بالاعدام • وذلك لانعدام ركن سبق الاصرار • ولأن وجود المسدس فى درج مكتبك أمر طبيعى •
ـ ومن حقك ان تدفع التهمة بأنك كنت فى حالة دفاع عن النفس •
ـ وليس امامك لتدعيم دفاعك ، الا ان تشرح للمحكمة السبب الذى من أجله اندفعت زوجتك الى غرفة مكتبك ، فى اللحظة التى كان يجب أن تغادر البيت فيها ، وفى يدها مسدس تشهره فى وجهك •
ثم اعتدل فى جلسته أخيرا ، وأشعل غليونه دون أن يرفع عينيه عن وجه الطبيب •
ـ ماذا ترى فى ذلك ؟ .
ـ ان ما نحن فيه ، يمكن أن يستمر للأبد »
ـ أو ما زلت مصرا على موقفك ؟ •
ـ لقد أجبت عن كل أسئلتك صاغرا •
ولكنك لم تذكر لى لماذا أطلقت النار عليها »
ـ لأننى لم أطلق النار عليها •

ـ اذن فوالدتك هى التى اطلقت النار عليها .
ـ ولا والدتى . لقد كانت فى غرفتها بالطابق العلوى .
ـ بينما كنت تتشاجر مع زوجتك ؟ .
ـ لم يقم بيننا أى شجار .
ـ سيريه ! استمع الى ! لقد بذلت اقصى ما فى وسعى لأصل الى السبب الذى من أجله توعدتك زوجتك وهددتك .
ـ انها لم تهددنى .

ـ لا تتمسك بقولك هذا . فقد تندم على ما تصر عليه الآن . انك أنت من سيطلب استعمال الرأفة من المحلفين لأن حياتك أو حياة والدتك كانت مهددة بالخطر .

فابتسم سيريه ساخرا . لقد كان مكدودا متعبا . ولكنه لم يفقد شيئا من ثقته بنفسه وسيطرته على أعصابه . وبدا ستر الظلام ينحسر قليلا عن صفحة السماء ، وبدا الطقس يميل نحو البرودة قليلا .

وكان ميجريه أول من شعر بتغير الطقس ، فقام الى النافذة يغلقها وهو يقول :

ـ لم يكن من مصلحتك أن تجد جثة بين يديك . اعنى جثة لا يجب ان يراها احد . هل تتابع ما اقول ؟ .
ـ لا .
ـ عندما توفيت زوجتك الأولى ، كان فى مقدورك أن ترسل فى طلب الدكتور دوتيللو ليحرر شهادة الوفاة .

ـ وهذا ما كان سيحدث عند وفاة ماريا . حيث كان من المفروض أن تحدث الوفاة نتيجة لأسباب طبيعية . فقد كانت هى الأخرى مريضة بالقلب . وما نجحت فيه مرة ، يمكن أن تنجح فيه مرة أخرى .
ـ الا أنك فوجئت بما لم يكن فى الحسبان .
ـ لعلك قد تبينت ما اريد أن أصل اليه ؟ .
ـ انا لم اقتلها .
ـ ولم تتخلص من جثتها وامتعتها ومن معدات اللص ايضا ؟ .

ـ لم يكن هناك لصوص ٠

ـ قد أواجهك بهذا اللص بعد بضع ساعات ٠

ـ وهل تمكنت من أن تصل اليه ؟ ٠

ـ لقد تمكنا من رفع بصمات أصابعه من غرفة مكتبك ، ولقد حرصت على ازالة كل اثر لهـا بتنظيف جميع قطع الأثاث بالغرفة تنظيفا دقيقا ٠ وكما يحدث دائما نسيت قطعة كشفنا بها آثار بصماته ٠ واتضح انه من ارباب السـوابق المعروفين لنا جيدا ويدعى الفريد جوسيوم ـ أو فريدى الحزين كما يطلقون عليـه ٠ ولقد اخبر زوجته بما رأى ٠ وهى تجلس الآن بغرفة الانتظار مع والدتك ٠ أما جوسيوم فهو موجود الآن ببلدة روان ، ولم يعد هناك مبرر لاختفائه ٠

ـ ولدينا من الأدلة أقوال حارسة المبنى التى شاهدتك تخرج بسيارتك من الجاراج ٠ وأقوال مندوب البيع الذى اشتريت منه لوحا ثانيا من الزجاج فى الساعة الثامنة من صباح يوم الأربعاء ٠

ـ كما سيثبت من تقرير القسم الفنى أن سيارتك قد تم تنظيفها بعد هذا التاريخ ٠

ـ فما رأيك فى كل هذه الأدلة مجتمعة ؟

ـ وسأنفض يدى من هذه القضية ، بمجرد الكشف عن الجثة والأمتعة ٠

ـ وعندئذ ، قد تضطر لأن توضح للمسئولين ، الظروف التى اضطرتك للتخلص من هذه الجثة فورا ٠

ـ ان فى هذه القضية ثغرة ما ٠

ـ ترى ما هى يا سيريه ؟ ٠

وأخرج الرجل منديلا من جيبه ، جفف به حبات العرق التى كانت تغطى جبهته ، دون أن يعقب بشىء على ما سمع ٠

ـ ان الساعة قد بلغت الثالثة والنصف صـباحا ٠ ولقد فاض بى وبدأت أضيق ذرعا بكل هذا ٠ أما زلت مصرا على عدم التحدث بشىء ؟ ٠

ـ ليس لدى ما أقوله ٠

ـ حسنا ، قال ذلك ميجرية وهو ينهض عن مقعده ، « لم أكن أحب ان أحرج امرأة مسنة ، الا اننى أجد أنه لا مفر من استجوابها » .

وكان ينتظر بعد تصريحه هذا ، أن يسمع احتجاجا أو يوجه اليه اعتراض على ما أعلنه عن عزمه . بل كان الأمر على العكس من ذلك تماما . حيث لم يحرك الطبيب ساكنا ، وبدا وكأنه ارتاح لذلك وهدأت نفسه بما سمع .

ـ تولى أمره أنت يا جانفييه . أما أنا فساعتنى بامر الأم »

وكان قد نوى ذلك حقا فى هذه المرة ، وعقد العزم على التفرغ للأم . الا أنه لم يستطع ان يضع ذلك موضع التنفيذ فورا . حيث ظهر فاشيه أمامه فجأة وقد اشتعل حماسا ، متأبطا لفافة بها شيء ما .

ـ لقد حصلت عليها يا سيدى الرئيس ! لقد اقتضى ذلك منى بعض الجهد ، ولكن ها هى ذى أخيرا كما أعتقد .

ثم فض اللفافة ، ليكشف عما بها من قطع صغيرة من الطوب الأحمر والأتربة المختلفة منه .

ـ وأين حصلت عليها ؟

ـ من رصيف بيلا نكورت ، تجاه جزيرة سيجوين . لقد بحثت فى جميع موانى التفريغ . ووجدت أن بيلا نكورت كانت الميناء الوحيدة التى أفرغت بها حمولة من الطوب الأحمر أخيرا »

ـ ومتى كان ذلك ؟ .

ـ يوم الاثنين الماضى . وقد أبحرت السفينة يوم الثلاثاء ظهرا . ولم يزل الطوب موجودا على الرصيف هناك ، حيث يعبث به الأطفال ويفسدون قطعا كثيرة منه ، تناثرت على مساحة كبيرة من المكان ، هل أحمل هذه الآثار الى مويرز ؟ .

ـ سأذهب أنا بنفسى .

وهو فى طريقه بغرفة الانتظار ، حيث وجد المرأتين جالستين فى صمت مطبق . ولاحظ من حالتيهما أن جوا من البرود يسودهما .

ودخل ميجريه المعمل ، حيث قدم اليـــه مويرز فنجانا من القهوة كان فى أشد الحاجة اليه ٠

ـ اما زلت محتفظا بقطع الطوب ؟ وهل تحب ان تجرى عليهـا مقارنة ومضاهاة ؟ .

واتضح أن اللون واحد ، وان الخواص واحدة من أول نظـرة ثم ثبت بعد الفحص الدقيق بالمجهر وبالآلات الخاصة ، التشابه التام بين تكوين كل من العينتين ٠

ـ هل تضيف بذلك دليلا جديدا ؟

ـ من المحتمل الى حد كبير ٠ انها كما ظهر لى متشابهة فى كل نواحيهـــا ٠ وحتى يمكن أن أكتب تقريرى ، يجب أن أقوم بتحليلها ٠ ولن يستغرق هذا منى أكثر من نصف ساعة ٠

وكان الوقت متأخرا ، لا يسمح بالقاء الشباك بنهر السين لاستخراج ما قد يكون مستقرا بقاعه ٠ كما أنه لن يتيسر لداورية النهر ان تكلف احد الغواصين القيام بهذه المهمة قبل الشروق ٠ وان يسمح الوقت بذلك ، ويتم انتشـــال جثة ماريا أو شيء من أمتعتها او صندوق معدات اللص ، فان الدائرة ستضيق وتتم فصولها ٠

ـ هللو ! داورية النهر ؟ ميجريه يتحدث اليكم ٠

وكان ميجريه لم يزل على حاله ، محنقا ثائر الأعصاب ٠

ـ يقتضى الأمر أن يتخذ اللازم للبحث فى السين ، بأسرع ما يمكن ، عن أشياء يجب أن يتم انتشالها ٠ وذلك أمام رصيف بيلا لكورت فى المكان الذى افرغت فيه احدى سفن الشـــحن حمولتها حديثا ٠

ـ فى مدى ساعة من الآن ، سينتشر ضوء النهار ٠

ماذا ينتظر بعـد ذلك ؟ ان المحلفين لن يعوزهم الدليل بعد كل هذا ليقرروا ادانة جيللوم سيريه ، مهما أصر على الكاره ٠ وأمسك ميجريه بزجاجة الكونياك وشرب منها جرعة أخرى ، ثم لخرج الى الدهليز فى طريقه الى غرفة الانتظار ، وما أن بلغها حتى تعمد أن يفتح بابها على مصراعيه بعنف وحدة ٠

وخيل لارنستين أنه قادم من اجلها ، فهبت واقفة . اما مدام سيريه فظلت جالسة فى مكانها لا تتحرك .

فتوجه ميجريه بكلامه الى الأخيرة قائلا :

ــ هل يمكن أن تصحبينى لحظة ؟ .

ثم ولاهما ظهره وخرج من الغرفة الى احدى الغرف الخالية حيث تبعته السيدة سيريه .

ــ تفضلى بالجلوس .

وبدا يدور فى الغرفة ، وهـــو يلقى بنظراته من حين لآخر ناحية السيدة العجوز .

ــ ليس من طبيعه خلقى أن أحمل أنباء سيئة ، بهــذا بدأ حديثه اخيرا . وبالذات اذا ما كان ذلك لسيدة فى سنك ! مدام سيريه ، هل سبق لك ان شكوت مرضا أو علة ما !

ــ لم يسبق لى ان احتجت لاستشارة طبيب ، الا مرة واحدة عندما تعرضنا جميعا لدوار البحر فى أثنــاء عبورنا المانش فى احدى السفن .

ــ معنى ذلك انك لا تقاسين من مرض من أمراض القلب ؟ .

ــ لا .

ــ اظن ان ابنك يعانى ذلك ؟ .

ــ نعم . فقلبه متضخم .

ــ لقد قتل زوجته ! ألقى فى وجهها بتصريحه هذا وهو يحدق بعينيه فى وجهها .

ــ وهل اعترف لك بذلك ؟

وعزف عن انتهاج طريقة تزييف الاعتراف القديمة .

ــ انه ينكر ذلك . الا ان هذا لن يفيده بشىء . فلدينا مايكفى من ادلة .

ــ على انه هو القاتل ؟

ــ على انه أطلق النار على ماريا فى غرفة مكتبه .

ولم تحرك ساكنا باكثر من ازدياد ملامحها جمودا ، حتى خيل لميجريه انها توقفت عن التنفس .

ـ وما هى تلك الأدلة ؟

ـ لقد اهتدينا الى المكان الذى القى فيه بجثة زوجته بالنهر مع امتعتها .

ـ آه !

ولم تنطق بأكثر من ذلك . وجلست تنتظر فى هدوء ، عاقدة ما بين يديها على ثوبها الأسود .

ـ ان ولدك يرفض تبرير جرمه بحق الدفاع الشرعى . وأرى أنه يرتكب بهذا خطأ كبيرا فى حق نفســـــه . لأننى مقتنع تمام الاقتناع بأن زوجته عندما اقبلت عليه بغرفة مكتبه كانت تحمل سلاحا بيدها بقصد الاضرار به .

ـ ولماذا ؟

ـ هذا هو ما أسالك أنت عنه .

ـ ليست عندى اية فكرة عن ذلك .

ـ اين كنت حينئذ ؟

ـ فى غرفتي كما سبق أن اخبرتك .

ـ الم تسمعى شيئا يثير انتباهك ؟

ـ لم اسمع غير باب يغلق . ثم اعقبه صوت محرك سيارة فى الشارع .

ـ سيارة الأجرة ؟

ـ لقد اعتقدت ذلك ، لأن زوجة ابنى كانت قد قالت انهـــا بسبيل الذهاب لاستحضار سيارة أجرة .

ـ ولكنك لست واثقة من ذلك ؟ فمن المحتمل ان تكون هذه السيارة سيارة خاصة ؟

ـ انا لم ارها حتى يمكن ان اقرر ذلك .

ـ مما لا يستبعد معه أن تكون هذه السيارة هى ســــيارة ابنك ؟

ـ لقد أقسم لى مؤكدا انه لم يخرج بها .

ـ الا تتبينين التعارض الصارخ بين ما تقررينه الآن ، وبين ما سبق أن ادليت به الى ، عندما جئت الى هنا بمحض ارادتك ؟

- لا أتبين ذلك ٠

- لقد أكدت لى حينئذ أن زوجة ابنك رحلت فى سيارة اجرة ٠

- ولازلت اعتقد ان ذلك هو ما حدث .

- ولكنك لست على يقين من ذلك ٠ وما هو مدى ما تعرفينه عن حادث الشروع فى السرقة ؟ .

- لم يسبق لى أن رأيت ما يثبت ذلك ٠

- فى اية ساعة كنت بالطابق الأرضى صباح الاربعاء ؟ .

- حوالى السادسة والنصف ٠

- وهل دخلت غرفة المكتب ؟

- لم أدخلها مباشرة ٠ فكان على ان اعد القهوة ٠

- هل قمت بفتح النوافذ ؟

- نعم ٠ أعتقد ذلك ٠

- وكان ذلك قبل ان يهبط ولدك من الطابق العلوى ؟ .

- أرجح هذا ٠

- هل تقسمين على ما تقولين ؟

- ضع نفسك فى مكانى يا مسيو ميجريه ٠٠ لقد مررت بيومين ، وجهت لى فى خلالهما مختلف الأسئلة ، حتى لم أعد أدرى من أمر نفسى شيئا ٠ وامضيت الساعات الطوال جالسة بغرفة الانتظار ، حتى نال منى التعب وكلت قواى ٠

- وماذا اتى بك الليلة الى هنا ؟

- اليس من الطبيعى ان تتبع أم ابنها فى مثل هذه الظروف ؟ . التى لم افترق عنه طوال حياتى ٠ وقد يكون بحاجة الى ٠

- وهل ستتبعينه الى السجن ؟ .

- لا أفهم ما تعنيه بقولك هذا . فانى لا يمكن أن اصدق أن ..

- اذن ، اليك ما أعنى بصراحة : اذا ما وجهت التهمة الى ولدك ، فهل انت على استعداد ان تشاركيه فى تحمل مسئولية ما فعل ؟ .

- ولكنه ما دام لم يرتكب اثما ؟

ـ وهل أنت واثقة من ذلك ؟ »
ـ ولماذا يقتل زوجته ؟
ـ انك تتجنبين الرد الصريح . هل انت مقتنعة تمام الاقتناع بأنه لم يقتلها ؟
ـ بقدر ما لدى من ظواهر الامور .
ـ الا يوجد احتمال بانه قد فعل ذلك ؟ »
ـ لم يكن هنالك ما يدفعه لارتكاب ذلك »
ـ ولكنه ارتكب ما ارتكبه فعلا !

ألقى يدلك على مسامعهـا محتدا وهو يحدق فى وجههـا ؟ » ورآها تجلس فى مكانها وكانها على حافة هاوية ، تخشى عندهـا الحركة فتهوى بها - ثم تنهدت قائلة :
ـ آه ! وبعدها فتحت حقيبة يدها واخرجت منهـا منديلا » لا لأنها كانت تبكى ، بل مرت به على وجهها وهى تقول :
ـ هل لى فى كوب ماء ؟
فأمر لها بما طلبت • ثم استطرد قائلا :

ـ بمجرد وصول النائب العام الى دار العدالة ، سيصدر قرارا بتوجيه التهمة لولدك واصارحك القول ، بانه ليست لديه أقل فرصة ليدفع عن نفسه هذا الاتهام •
ـ أتعنى انه ...
ـ انه فى طريقه الى الجيلوتين ( المقصلة ) »

ومن المحتمل ان ميجريه كان يتوقع انه سيغمى عليها بمجرد ان يلقى فى وجهها بهذا التصريح • الا أن كل ما حدث انها أصبحت كالتمثال على مقعدها ، وكانها قطعة من الحجر الصلد الأصم ، فلما ثبتت عيناه فى محجريهما .
ـ وسنعمل على استخراج جثة زوجته الأولى من قبرهـا » ولعلك تعرفين انه يمكن الكشف عن آثار بعض السموم فى بقايا الهيكل العظمى •
ـ وما هو الباعث على قتلهما ؟ إن هذا لا يمكن تصوره على الاطلاق . بل هو امر أبعـد ما يكون عن الحقيقة . ولستا ادرى

لماذا تصر على أن تخبرني بذلك . غير أنني أرفض تصـــديق كل ما حدثتني به . دعني أتصل به وأتحدث معه على انفراد ، وأنا أؤكد لك بأنني سأصل معه الى الحقيقة .
ـ هل كنت ملازمة لغرفتك طوال يوم الثلاثاء مساء ؟ .
ـ نعم .
ـ ألم تغـــادري غرفتك بالطابق العـلوي متجهة الى الطابق الأرضي ؟ .
ـ لم اغادرها . ولماذا كنت أكلف نفسي مشقة ذلك ، وقد قررت هذه المرأة أن تتركنا أخيرا ؟

واتجه ميجريه الى النافذة حيث أسند رأسه على زجاجهـــا ليخفف من حدة ما يغلي به والهب جبهتـــه . ثم اتجه الى الغرفة المجاورة ، حيث افرغ ما تبقى من زجاجة الكونياك في جوفه .

فلما قفل راجعا ، اتخذ لنفسه هيئة جيللوم سيريه بخطواته الثقيلة ونظراته المنيدة ، التي تتحدى من يقف في طريقه .

## الفصل التاسع

وجلس على مقعد لم يكن مقعده الأصلي ، وقد ارتكز بمرفقيه على المنضدة امامه ، وثبت غليونه في فمـــه ، وركز عينيه على السيدة العجوز التي شبهها بالام الـكبرى .

ـ ان ابنك ، يا مدام سيريه ، لم يقتل اية زوجة من الزوجتين
وكان ينطق بهذه الكلمات متعمدا أن يفصل ما بينها واحدة واحدة .

فزوت ما بين حاجبيها دهشة ، وكأنه لم يسعدها أن تسمع ذلك .

ـ ولم يقتل والده أيضا ، هذا ما اضافه متئدا .
ـ ماذا تراك .
ـ صمتا ! ... لا تؤاخذيني . ســـــنتهي من ذلك بأسرع ما يمكن .
ثم مال الى الأمام مستطردا :

لن نشغل أنفسنا بالأدلة الآن . فان ذلك له وقته »
ثم اعتدل فى جلسته مواصلا حديثه :

ولن نناقش الآن قضيةزوجك ، وسنناقش قضية زوجة ابنك الأولى التى ماتت مسمومة كما اعتقد . بل سأذهب لأبعـــد من ذلك . فانا مقتنع تمام الاقتناع ان ما ادى الى وفاتها لم يكن سم الزرنيخ أو غيره من سموم قوية المفعول تستعمل فى مثل هـذه الحالات . وبهذه المناسبة ، احب أن أقرر لك ، يا مدام سيريه ، أنه من بين كل عشر جرائم قتل مما يرتكبها النساء ، يثبت أن تسعا منها استعمل فيها السم كسلاح للجريمة .

ـ ان زوجة ابنك الأولى ، وكذلك الثانية ، كانت تعـانى من مرض القلب . وهكذا كان الحال مع زوجك .

ـ وهناك بعض الأدوية لا تؤثر بشىء فى الأصحاء الأقوياء ، ولكنها فى الوقت نفسه تعتبر مصدر هلاك لذوى القلوب الضعيفة ولعل ماريا هى التى زودتنا بمفتاح هذه المشكلة فى احدى رسائلها التى كانت تكتبها لصديقتها . حيث تحدثت فيها عن رحلة قمتم بها الى انجلترا ، وعما تعرضتم له جميعا من دوار البحر . الأمر الذى استلزم عرضكم على طبيب السفينة .
ـ فماذا ترين مما اشار به من علاج ؟ »
ـ لست أدرى .

ـ كيف تقولين ذلك ؟ ان الجميع يعرفون أن ما يستعمل فى مثل هذه الحالات هو الاتروبين . ومن المسلم به ان جرعة كبيرة من الاتروبين تكفى لقتل شخص مريض بقلبه »
ـ هل تعنى بقولك هذا ان زوجى ...

ـ لا مجال لذلك الآن ، ولو اننا سنعود لهذا الموضـــوع فى حينه ، حتى ولو صعب الأمر علينـــا . ولقد وصل الى علمى أن زوجك دأب فى آخر أيامه ، على أن يبعثر امواله يمينا ويسارا فى حياة ماجنة صاخبة . وكنت ، يا مدام سيريه ، تخشين شبح الفقر دائما .

ـ لم تكن خشـــية الفقر من أجل بل من أجل ولدى ، وذلك لا يعنى أننى كنت ألجأ الى .

ـ وبعد مرور فترة من الزمن ، تزوج ابنك ، وأصبح فى البيت عنصر جديد . امرأة أخرى تحمل لقبك مابين عشية وضحاها ولها من الحقوق مثل مالك .

لزمت شفتيها وتركته يستمر فى حديثه :

ـ وهذه المرأة ، التى كانت مريضة بقلبها هى الأخرى ، كانت تملك ثروة طائلة ، ثروة أكثر مما يملـــكه ابنـــك ، وممـــا يمـــلكه آل سيريه مجتمعين .

ـ وتعتقد أننى دسست لها الســـــم ، كما قتلت زوجى من قبل !.

ـ نعم .

فأرسلت ضحكة مكبوتة ، ثم قالت :

ـ مما يستتبع حتما أننى قتلت زوجة ابنى الثانية بالسم ؟

ـ وهذه الزوجة كانت تعتزم الرحيل ، بعد ان اعيتها الحيل ، وحاولت أن تتقبل وضعهـــا فى هـــذا البيت ، الذى تعامل فيه معاملة الغرباء . لقد كانت غريبة فى بيتهـــا . وكان من الطبيعى انها ستأخذ أموالها معها . كما كان من المصادفات العجيبة ، أنها هى الأخرى كانت تشكو من لغط فى القـــلب . اترين ؟ لقد عجبت من بادىء الأمر وتساءلت عن السر فى اختفاء جثتها . اذ انها لو كانت قد ماتت مسمومة ، فما كان عليك الا ان ترسلى فى استدعاء طبيب ، تشرحين له حالتها الصحية ، فيحرر بناء على ذلك شهادة بوفاتها على اثر نوبة قلبية . وليس بمستبعد ان تفاجئها هذه النوبة فيما بعد بالسيارة او بالمحطة او بالقطار .

ـ انك تثق بنفسك الى أبعد الحدود يا مسيو ميجريه .

ـ وأعلم أنه حدث ما اضطر ولدك أن يطلق النار على زوجته ولنفترض معا ان ماريا عندما كانت فى طريقها للبحث عن سيارة

أجرة أو لطلب احداها تليفونيا ، شعرت ببعض الأعراض الخاصة التى أثارت شكوكها .

ولما كانت هذه المرأة ، التى عاشت معكما تحت سقف واحد ، تعرفكما خير المعرفة . ولما كانت هذه المرأة واسعة الاطلاع ، مما لا أستبعد معه أنه كان لها بعض الالمام بالنواحى الطبية .

فقد أتاح لها ذلك أن تتحقق من أنه قد دس لها السم ، الأمر الذى دفعها الى دخول غرفة مكتب زوجها حيث كنت معه هناك .

ـ وعلى أى أساس تبنى نظريتك ، عن مصادفة وجودى معه ؟ .

ـ لأنها ، ولسوء حظها ، كانت قد قررت فيما بينها وبين نفسها ، أن تلقى باللوم عليك . لو كنت بغرفتك الخاصة ، لوجدتها تصعد الى حيث كنت .

ـ ولست على يقين مما وقع بعد ذلك . هل شهرت فى وجهيكما مسدسها ، أم أنها حاولت الاتصال تليفونيا بالشرطة .

الا أن ما أعرفه جيدا ، انه لم يكن هناك مفر من اطلاق النار عليها . وتأسيسا على ما قالت ...

لقد ذكرت لك وجهة نظرى . وشرحت لك أن ولدك هو الذى قام باطلاق النار ، أو بمعنى أدق ، هو الذى أتم ما بدأته .

وبدأت خيوط الفجر ، تنتشر على صفحة السماء . ونفذ شعاعها الى الغرفة ليظهر مع ضوء المصابيح الكهربية ، ما ارتسم على وجهيهما من خطوط الاجهاد . ثم سمعا رنين التليفون .

ـ أهو أنت ياسيدى الرئيس ؟ لقد انتهيت من عملية التحليل ان آثار الطوب الأحمر التى رفعناها من السيارة هى من نفس النوع الموجود فى بيلانكورت بكل تأكيد .

ـ يمكنك أن تنصرف . فلم يعد هناك عمل لك .
ومرة أخرى نهض عن مقعده وأخذ يدور بالغرفة .

ـ ان ولدك ، يا مدام سيريه ، مصر على أن يتحمل كل ماهنالك من مسئولية ؛ ولم يعد أمامى وسيلة ما لأقنعه بالعدول عن موقفه هذا ، وارى أنه مادام قد استطاع الا يتحدث بشىء طوال هــذه المدة ، فانه قادر على التمادى فى ذلك الى مالا نهاية . اللهم الا ـ
ـ اللهم الا ... ؟
ـ لست ادرى . لقد كنت افكر . لقد تصادفت رجلا فى قوة احتماله منذ عامين . وبعــد أن ظـل هـذا الرجل جالســا فى غرفة مكتبى طوال خمس عشرة ساعة ، لم الغز منه بطائل . ثم دفع بمصراعى النافذة فى هياج غاضب .
ـ وبعد سبع وعشرين ساعة ونصف الساعة بدأ ينهار !!
ـ وهل اعترف ؟
ـ كان اعترافه فيضا لم يتوقف ، حتى افرغ كل ما فى جعبته ليتخلص مما اثقل كاهله .
ـ انا لم ادس السم لأحد .
ـ اننا لا ننتظر منك ردا .
ـ هل تنتظرون ذلك من ولدى ؟
ـ نعم . فهو مقتنع تمام الاقتناع بأنك لم تفعلى كل ذلك الا من أجله . وكان ذلك منك حرصــا على تأمين مستقبله المالى من ناحية ، وبدافع من شـــعور الغيرة الذى يأكل قلبك من ناحية اخرى .

ووجد نفسه مضطرا أن يقـــاوم تلك الرغبة الجامحة فى أن يرفع يده ويصفعها بالرغم من شيخوختهــــا ، بعد ما اعتمل فى نفسه على اثر ما فوجىء به من انفراج فمها بابتسامة كريهــة ملتوية . ثم قال متندرا :
ـ وليس فى ذلك نصيب من الصحة !

ثم اقترب منها ، وحدق بعينيه فى عينيها ، ولفحت أنفاســه وجهها . وقال لها محتدا وهو يضغط على أسنانه :
ـ ان ذلك لم يكن من أجله ، بل من أجلك أنت ؟ انك لم تقتلى أحدا من أجله ، ولم تكلفى نفسك عناء المجىء الى هنا ، الا خوفا من أن يتكلم .

وحاولت أن تبتعد عنه ، وأن تتحرك بمقعدها الى الخلف ، لتتخلص من نظراته القاسية المتوعدة . وواصل حملته وهو يزداد اقترابا منها :

ـ فليذهب الى السجن ، أو فليطر راسه تحت المقصلة ، ان كل هذا لا يعنيك فى كثير أو فى قليل ، ما دمت آمنة لم يمسسك سوء . انك تاملين فى حياة طويلة ، وتثقين بأنه لم يزل أمامك من الاعوام الكثير ، تقضينها فى بيتك ، لتتمتعى بالنظر الى أموالك وبلذة الاحساس بها بين أصابعك وأنت تحصينها .

وتملكها خوف شديد . وكادت تصرخ رعبا . وعلى حين غرة ، وبحركة عنيفة سريعة ، اغتصب ليجريه من بين يديها ، حقيبة يدها التى كانت تقبض عليها بأصابعها فى حرص وتصميم ، باندفعت لتسترجعها منه وهى تصرخ .

ـ مكانك . لا تتحركى .

ثم أسرع بفتح الحقيبة التى وجد من بين محتوياتها ، ورقة مطوية على قرصين من الأقراص البيضاء .

وعم السكون المكان ، وران عليه الهدوء ، وأصبحت الغرفة التى يجلسان بها ، أقرب ما تكون الى كنيسة أو الى دير من الأديرة . وجلس ميجريه مسترخيا على مقعده ، كمن يهجع بعد شوط طويل بعيد المدى . ثم ضغط على زر الجرس الذى أمامه .

وما أن فتح الباب ، حتى قال متئدا ، دون أن ينظر الى رجل المباحث الذى أقبل تلبية للنداء :

ـ قل لجانفييه أن يتوقف عن استجوابه .

ولما لاحظ أن الرجل لم يتحرك من مكانه ، وظل واقفا تعلوه الدهشة قال له : لقد انتهى كل شىء باعترافها .

ـ أنا لم أعترف بشىء ما .

فانتظر حتى انصرف رجل المباحث وأغلق الباب .

ـ الأمر عندى سواء . فقد كان بوسعى أن أمضى فى الشوط حتى نهايته ، وأدعك تقابلين ولدك المقابلة الخاصة التى كنت

ترمين اليها . ألا تعتقدين أنك أزهقت من الأرواح ما فيه الكفاية لامرأة فى سنك .

ـ أتعنى أننى كنت ...

وكان يقلب القرصين بين أصابعه .

ـ كنت ستقدمين له الدواء ، أو ما يعتقد أنه دواء ، فتأمنين بذلك جانبه ، وتطمئنين أنه لن يستطيع الكلام الى الأبد .

وكانت أشعة الشمس قد ملأت أرجاء الغرفة ، وانتشر ضوء النهار ثم سمع رنين التليفون فرفع السماعة قائلا :

ـ المفتش ميجريه .

ـ هنـــا داورية النهر . نتحدث من بيلانكورت . لقد وجد الغطاس صندوقا شديد الثقل .

ـ ستعثرون على الباقى أيضا !

ثم وجد أمامه جانفييه واقفا بالباب وقد علته الدهشة .

ـ قيل لى :

ـ فلتصطحبها الى غرف الحجز . ومعها الرجل أيضا كشريك وسأقابل المدعى العام بمجرد حضوره الى مكتبه .

فلم يعد به حاجة اليهما بعد . فقد انتهى من مهمته مع الأم ومع الابن على حد سواء . ثم أمر القائم بالترجمة .

ـ يمكنك أن تعود الى منزلك .

ـ هل انتهى كل شىء ؟

ـ بالنسبة لعمل اليوم .

ولما عاد الى غرفة مكتبه ، لم يجـد الطبيب بهـا ، ولاحظ أن منفضة السجائر ملأى بأعقاب السيجار الاســود الذى يدخنه سيريه . وكاد يغلبه النعاس وهــو على مقعده . وفجأة تذكر أن لوفتى لم تزل فى غرفة الانتظار .

وهناك وجــدها تغط فى نومها . فأمسك بها من كتفهـا ليوقظها . فاعتدلت فى جلستها ، ورفعت يدها بحركة غريزية تصلح من وضع قبعتها الخضراء .

- انتهى كل شيء . عليك بالانصراف !.
- هل اعترف ؟
- بل هي التي اعترفت .
- ماذا تقول ؟! او هي تلك المرأة العجوز التي -
- فيما بعد ! فيما بعد !

وبعد أن كان في طريقه الى خارج الغرفة ، توقف واستدار اليها وقد تملكه الشعور بالندم قائلا :

- شكرا ! وعندما يعود الفريد تنصحينه بأن -

وماذا يجدي النصـــح معه ؟ ان الرجل الحزين لن يقلع عن السطو على الخزائن التي سبق له صنعها كما أنه لن يتنازل عما يعتقده بأن كل مرة يفعل فيها ذلك ستكون الأخيرة ، وانها هي التي ستمكنه من تحقيق أمله في اعتزال هذا العمل والاخلاد الى الراحة في الريف .

وقد روعي عند الحكم على مدام سيريه كبر سنها ، وتركت ساحة المحكمة ، وقد تملكها شعور بأنها قد قدر لهـــا أخيرا أن تبسط جناحيها على سجن النساء ، وأن توجههن الى حياة منتظمة رتيبة .

وبعد ذلك بعامين ، قضاهما ابنها في ســـجن فريسنيس ، اتجه فورا الى منزله بشارع دى لافيرم ، حيث عاد الى حيـــاته الأولى ، ولم ينقطع عن القيام بجولته المسائية .

وداب فيما دأب عليه ، على التوجه في كل ليلة الى المقهى ، ليحتسي النبيذ الأحمر كما كان يفعل دائما . ولم ينس أن ينظر يمنة ويسرة قبل دخوله المقهى بحكم العادة .

« تمت »

## هيئة قناة السويس

تعلن هيئة قناة السويس « ادارة الاشغال » عن طرح أعمال الصيانة والتشغيل السنوية المبينة فيما يلي ويمكن الحصول على نسخة من مستندات كل عملية من مكتب المناقصات والعقود بادارة الاشغال بالاسماعيلية نظير دفع الرسم المقرر قرين كل عملية وتقدم العطاءات داخل مظروفين يختم الداخلي منهما بالشمع الاحمر ويذكر به اسم العملية وتاريخ فتح المظاريف ويعنون المظروف الخارجي باسم السيد رئيس وعضو مجلس الادارة المنتدب هيئة قناة السويس « ادارة الاشغال » بالاسماعيلية .

| اسم العملية | تاريخ فتح المظاريف | ثمن المستندات | مصاريف البريد | قيمة التأمين الابتدائي |
|---|---|---|---|---|
| | ظهر يوم | جنيه | مليم | |
| صيانة المباني والتحسينات البسيطة ببور سعيد وبور فؤاد والاسماعيلية | الاثنين ٦٤/٥/١١ | ١٠ | ٧٥٠ر٠ | ١٠٠٠ جنيه عن كل قسم |
| صيانة السخانات وأفران البوتاجاز ببور سعيد والاسماعيلية وبور توفيق | الاثنين ٦٤/٥/١٨ | ١ | ١٠٠ر٠ | ٥٠ جنيها عن كل قسم |
| صيانة وإصلاح الآلات الكاتبة والحاسبة ببورسعيد والاسماعيلية وبور توفيق | الاثنين ٦٤/٥/٢٥ | ١ | ١٠٠ر٠ | ٥٠ جنيها عن كل قسم |
| تنفيذ أعمال مختلفة بداخل المنطقة الجمركية ببور سعيد « أعمال صيانة الميناء » | الاثنين ٦٤/٦/١ | ٢ | ٢٠٠ر٠ | ٥٠٠ جنيه |
| كسح خزانات التحليل بمباني الهيئة بالاسماعيلية | الاربعاء ٦٤/٥/٢٠ | ١ | ١٠٠ر٠ | ٥٠ جنيها |
| توريد رمال خشنة وناعمة من محاجر الهيئة | الاربعاء ٦٤/٥/٢٧ | ١ | ١٠٠ر٠ | ٥٠ جنيها |



الدار القومية للطباعة والنشر

وزارة الثقافة والارشاد القومى

# الدار القومية للطباعة والنشر









تعمل على تحقيق الثورة الثقافية التى نادى بها الرئيس جمال عبد الناصر









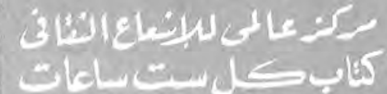





## القاهرة

مركز عالمى للاشعاع الثقافى

كتاب كل ست ساعات









مكتبات الدار

نيويورك لندن

الجزائر بيروت

طرابلس بغداد

الخرطوم الاسكندرية

القاهرة





